مدرسة دار التوحيد لتحفيظ القرآن بجدة

٢٦١٩٥٦٤

وقفات تربوية مع

وقفات تربوية مع

سورة الكهف

سورة الكهف

سُورَةُ الكَهْفِ
Nescafé

جمع وإعداد: نجلاء السبيّل

برنامج التدبر الملزمة السابعة

المقــــدمـة

الحمد لله رب العالمين ......

الحمد لله المنعم المتفضل الذي أسبغ علينا نعمةُ ظاهرةً وباطنةً ......

الحمد لله الذي علمنا وأخذ بنواصينا وفتح قلوبنا وأجلسنا لمدارسة كتابه وهو القائل جل جلاله (يوم تجدُ كلُ نفسٍ ماعملت من خيرٍ محضراً)

سيأتي يوم تُقلّب فيه صفحات كتابك فترى فيه ماقاله لسانك وما كتبته يداك، وما مشت إليه قدماك وستنظر إلى أي الأماكن ذهبت وفي أي المجالس جلست؟ وإلى أي الكلام استمعت ؟ عندها ستقلّب وتقلّب في هذه الصفحات ووجهك مشرق ، فماهو إلا إلتفافٌ حول مائدة القرآن تعرضاً لكرم صاحب المأدُبة.

فالقرآن مأدُبته ونحن ضيوفه وحقٌ على المضيف أن يكرم ضيفه ، وهو الكريم سبحانه وبحمده ولن يردنا من هذه المأدُبة صفراً.

اللهم اجعلنا ممن أحسن بك الظن فأعطيته ووفيته وأكرمته وزدته من فضلك ياكريم.

اللهم زدنا ولاتُنقصنا وأعطنا ولاتحرمنا وأكرمنا ولاتُهنا وأدِم علينا مدارسة القرآن ومجالس القرآن التي قال عنها رسولنا صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم.

واعلم يامن التففت حول هذه المائدة أن (*التوفيق على قدر القربى*)

فبقدر ما تُحب تقترب

وبقدر ما تقترب تُوهب

وبقدر ما تتشبع تتشوق أكثر للعلم

لأن اللذة هنا لذة حقيقية(١) ....

فالقرآن هو المعراج الرئيس الذي يرتقي بك إلى السماء هاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه قائلاً : (أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله

وأني رسول الله ؟ قالوا بلى ، قال : فإن هذا القرآن سبب ، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً)(٢)

---

(١) من كلمات الدكتور مصطفى البجِاوي حفظه الله ، وهو أحد علماء المغرب.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه والطبراني في الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٧١٣)

المحور الأول:

مقصود السورة ، فضلها والسر في إختيارها

بداية قد يرد على ذهن القارئ أن يسأل

مالسر في إختيار هذه السورة دونا عن غيرها من سور القرآن الكريم لتطرق قلوبنا وأسماعنا في كل أسبوع ونكررها في كل جمعة؟

السر والله أعلم هو مقصودها ، ومقصود السورة نعني به الهدف الأساسي والموضوع الرئيسي فيها الذي يجمع كل موضوعات السورة وتدور حوله.

ومقصود سورة الكهف هو : هو العصمة من الفتن

النبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من الفتن وأخبرنا (إن السعيد لمن جنّب الفتن)(١)

وقال عليه الصلاة والسلام (ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذ به)(٢)

والفتن كثيرة ومتنوعة، ومتلاطمة ومتلاحقة كموج البحر تحاصر الإنسان من كل جهة تجعل الحليم حيراناً بل وتكاد أن تذهب بعقول كثير من الناس!!!

فتأتي هذه السورة **لتعطيك خط النجاة**

تعطيك كيف يكون المخرج من هذه الفتن وكيف يكون الخلاص منها ونحن جميعاً بلا استثناء بحاجة حقيقية لنعرف كيف يكون المخرج والخلاص والعصمة من الفتن؟؟

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني – حديث رقم ٣٥٨٥ .

(٢) فتح الباري – كتاب الفتن – حديث رقم ٧٠٨١.

مناسبة اسم السورة مع مقصودها – وفضلها:

(أ) الكهف إما أن يكون كهفاً حسياً أو معنوياً .

الكهف الحسي : هو تلك المغارة التي تكون بداخل الجبل يأوي إليه الإنسان ويحتمي بداخله، من مطر أو ريح أو شيء من التقلبات والآفات.

أما الكهف المعنوي: وهو المعنى الذي نريده أن يبقى حاضراً في ذهنك وأنت تقرأ هذه السورة.

بأنّ سورة الكهف كلها من أولها إلى أخرها هي كهفٌ لك أيها القارئ من الفتن كما أن الكهف ملجأ ومأوى للإنسان يدخل فيه ويحتمي بداخله فكذلك هذه السورة الكريمة هي عصمة وملجأ ونجاة لقارئها ، إذا أوى إليها وقرأها وتدبرها وعمل بها فإن الله يحوطه بحفظه وعنايته وينشر عليه رحمته ويعصمه من الفتن.

لاسيما أنها جمعت لنا أصول الفتن (فتنة الدين – فتنة الدنيا والمال – وفتنة العلم- وفتنة إبليس – وفتنة المُلك والسلطة)

بل وجعلها الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى أسباب العصمة من أكبر وأخطر وأعظم فتنة ستمر على البشرية حذر منها الأنبياء أجمع من زمن نوح عليه السلام إلى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام ألا وهي فتنة المسيح الدجال(١)

كما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال : (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجهُ دونكم ، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤٌ حجيج نفسهِ والله خليفتي على كل مسلم فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنتة)(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)(٣)

وفي مسند الإمام أحمد(من قرأ عشر آيات من سورة الكهف عُصم من فتنة المسيح الدجال)(٤)

وعلى هذا فالوعد بالعصمة من فتنة المسيح الدجال تتحقق لمن قرأ العشر الأول أو العشر الأواخر من سورة الكهف.

---

(١)تم الكلام عن المسيح الدجال وفتنته وصفاته بالتفصيل في ملزمة (وقفات تربوية لسورة مريم)

(٢) رواه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) رواه مسلم بباب فضل سورة الكهف. (٤) مسند الإمام أحمد ٤٤٦/٦ .

(ب) نور وضياء لقارئها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(من قرأ سورة الكهف أضاء له من النور مابين الجمعتين)(١)

وحتى تتصور هذا الحديث ويصل معناه إلى قلبك ، تخيل إذا كنت في ظلمة ليل أليل وظلام حالك، وسواد منتشر ، ثم أتاك شيء من النور ورأيته من بُعد ماذا تشعر؟

مباشرة ستشعر بشيء من الأمان بدأ يتسرب إليك ، وأن هذا الشعور بالأمان بدأ يكبر ويكبر ويكبر بداخلك كلما اقتربت أكثر وأكثر من مصدر الضوء.

لذلك موسى عليه السلام لما رأى نوراً ماذا قال ؟؟ (إني آنستُ ناراً)

أنِسَ لما رأى هذه النار ، استانس وأطمأن لأن الظلمة والليل والسواد يُوجِد في الإنسان شيء من الخوف ومن الوحشة فلما رأى هذا النور اطمأن فقد وجد ملجأً

والنور ملجأ في الظلمة.

وسورة الكهف أيضاً هي نورٌ وضياءٌ لقارئها تبدد ظلمات الفتن يُرزق بها بصيرة وفرقاناً يمَيز به ويخرج به من كل فتنة وجهل وظلمة.

والعبد إذا أُعطي نوراً في قلبه فإن قلبه سوف يحيا

(أوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا...)الأنعام(١٢٢)

والعبد إذا أُعطي نوراً في قلبه فإن قلبه سيبُصر

(فإنها لاتعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصُدور) الحج(٤٦)

(ج)ومما يدل على نفاسة هذه السورة أيضاً ومكانتها قول ابن مسعود رضي الله عنه :

(بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هنّ من العِتاق الأوُل وهنّ من تلادي)(٢)

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وحسنه الألباني.

(٢) فتح الباري- كتاب تفسير سورة الإسراء.

(العتاق) جمع عتيق وهو مابلغ الغاية في الروعة والحسن والجودة. (تلادي) ماحفظته قديماً.

قال البيهقي (والعتاق : جمع عتيق والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقاً يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتلاد ماكان قديماً من المال ، يريد أنها من أوائل السور المنزلة في أول الإسلام وأنها من أول ماقرأه وحفظه من القرآن والله أعلم)(١)

إذاً ....

نحن أمام سورة عظيمة – والقرآن كله عظيم – نرجو بتدارسها والتأمل فيها أن نكون ممن يقرّب القرآن للخلق ، ويحبب القرآن للخلق وهذا من أعظم الشرف ومن أعظم الرزق وسنضع بين أعيينا أمرين:

الأول : أن من أحب الله بصدق اشتغل بدلالة العباد عليه، فما أن تنتهي تلك المدارسة

ويتفرقون من مجلسهم ذاك إلا وقد ازدادوا حباً لربهم وقُرباً منه وتعظيماً وتفويضاً وتوكلاً عليه.

والثاني: مايقوله أهل العلم بأن تلاوة وتدبر ما كان مفضلاً يترتب عليه من الأجر والثواب ما لايترتب عى غيره.

وهذا مقصد من مقاصد تدارسنا لهذه السورة فنحن نطمع في مزيد من الأجر والثواب وأن يعطينا الله فوق مانرجو وأكثر مما نؤمل.

آمـــيـــــن.

---

(١)شعب الإيمان للبيهقي ٢ /٤٧٦ نقلاً عن التفسير الموضوعي ٤/ ٢٨٥.

المحور الثاني : سبب نزولها:

ذكره ابن اسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ، والطبري في جامع البيان ، والبيهقي في دلائل النبوة وابن كثير في تفسيره.

وسنذكره باختصار : أرسلت قريش إلى أحبار اليهود في المدينة تسألهم عن هذا النبي الذي خرج بين أظهرهم ، باعتبار أن اليهود أهل كتاب وعندهم علم، وهم كانوا يفخرون بهذا على العرب ويقولون أطل علينا زمان نبي وأوصافه ذُكرت في كتابنا وسيخرج ونكون أتباعه ومعه ، لهذا أرسلت قريش تسألهم وقالوا جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؟؟

فقالت أحبار اليهود : سلوه عن الروح ماهي؟ وعن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ المشارق والمغارب ما كان نبؤه؟ فإن أخبركم فهو نبي ، وإن لم يخبركم فهو رجلٌ متقول فاصنعوا به مابدا لكم ، جاء القرشيون،وسألوا رسول الله صلى الله فقال لهم: غداً أخبركم ولم يستثنِ أي: لم يقل إن شاء الله ، فمكث رسول صلى الله عليه وسلم خمسة عشرة ليلة لايُحدثُ الله إليه في ذلك وحياً ولايأتيه جبريل شق ذلك عليه وحزن عليه الصلاة والسلام وفي المقابل أرجف المشركون وفرحوا ثم جاءهُ جبريل عليه السلام بسورة الكهف(١)

هذه القصة تبين الجو العام الذي نزلت فيه هذه السورة وأنها نزلت في العهد المكي بل في بداية الدعوة وهذه الفترة كانت فترة حرجة لاقى فيها النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من المحن والابتلاءات والمكاره والحصار والتعذيب والإيذاء فكانت سور القرآن تنزل السورة تلو السورة لتثبت قلبه عليه الصلاة والسلام وتسليه وتعزيه وتبيّن له أن ماتجد من قومك ليس غريباً فقد وجده الأنبياء قبلك فنزلت هذه السورة تثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتُسليه هو وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١)باختصار وتصرف نقلاً من كتاب التفسير الموضوعي.

المحور الثالث : مقدمة السورة

ابتدأ الله عز وجل هذه السورة الكريمة بالحمد لذاته العلية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)

ربط الله مابين حمده وما بين إنزاله للقرآن فالرب العظيم المتفضل الذي أنزل هذا الكتاب العظيم هو وحده المستحق للحمد والثناء جل جلاله الذي هو خير الكتب وأيسر الطرق إلى النجاة والعصمة.

ثم وصف هذا الكتاب بوصفين:

١) **(ولم يجعل له عوجاً)** ⟵ نفى عنه العوج ، بمعنى أن هذا الكتاب لاخلل فيه ولا نقص ولاتعارض ولا تناقض ولا اختلاف لامن جهة ألفاظه ولامن جهة معانيه بل إنه سلِم من كل عوج.

٢) **(قيماً..)** ⟵ تقوم به مصالح العباد الدينية والدنيوية وبه تقوم الحياة وينتظم صلاح المعاش والمعاد ، فهو منهج قويم وصراط مستقيم فيه بشارة لمن أخذ به ونذارة لمن تركه وأعرض عنه.

ثم عاتب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عتاباً لطيفاً على أسفه وحزنه الشديد على أهل مكة بأنهم أعرضوا ولم يؤمنوا **(فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)**لاتذهب نفسك عليهم حسرات ، وتأسف عليهم حتى تكاد تهلك ترفق بنفسك وما عليك إلا البلاغ أن تبلغ رسالة ربك أما الهداية فليست بيدك ولا بيد أي مخلوق (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) والله أعلم بخلقه بمن يستحق الهداية وبمن لايستحقها.

ثم بين الله سبحانه وتعالى سبب رئيسياً من أسباب صدود الناس وإعراضهم وهو تعلقهم بالدنيا ، وبين حقيقة الدنيا وأنها ماهي إلا زينةٌ زائلة لن تبقى ولن تدوم جعلها الله دار اختبار وامتحان لأهلها ثمّ مصيرها إلى خراب وإلى دمار**(صعيداً جرزاً)** كالأرض الجرداء القاحلة التي لانبات فيها ولابناء قد استؤصل كل ماعليها واجتثت من أصوله وجذوره، هذه هي حقيقة الدنيا.

المحور الرابع: قصة أصحاب الكهف

وقبل أن أبدأ بسرد أحداثها أعطيك هذه الفائدة :

يقول الله عز وجل (**فأقصص القصص لعلهم يتفكرون**)

ويقول سبحانه (**إن في قصصهم لعبرة**)

من استطاع أن يعيش مع قصص القرآن عيشاً تدبرياً فإنه سيفتح له من أبواب البصيرة والمعرفة والتربية الشيء الكثير، فعند ذاك يذوق مالم يعهد له مذاقاً ولا طعماً ، ويحس مالم يكن له به سابق معرفةٍ وإحساس ولو لم يكن إلا فهمه للسنن الربانية من خلال هذه القصص لكانت هذه تكفي...

فأيقظ قلبك ! وألقِ سمعك

وأقرأ وتدبر! ثم أبصر!..

تلك كلمات البدء فإذا كنت جاهزاً فلنبدأ معاً أحداث القصة....

بدأت قصتهم بأسلوب استفهامي تعجبي (**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**)

هل حسبت أن أصحاب الكهف كانوا عجباً من آياتنا فقط ، وكأنه دار ذلك في خلد

النبي صلى الله عليه وسلم بأن معجزتهم أعظم معجزة ، وخبرهم أعظم وأعجب خبر فلا تحسبنَّ ذلك فهناك ماهو أعجب، خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وآيات الأنفس والآفاق وعالم النبات وعالم البحار فضلاً عن عالم الغيب ومافيه من حكم وأسرار ودقائق وأخبار كلها آيات عجيبة تستوجب التأمل فيها والاعتبار بها)(١)

ثم بدأت الآيات تفصّل قصتّهم وأمرهم ومجمل هذه القصة : أنهم فتية عاشوا في زمان ملك كافر ظالم، أهل قريتهم أيضاً كانوا مشركين يعبدون الآلهة والطواغيت

شرح الله صدور أولئك الفتية للإيمان وتآلفت قلوبهم وأرواحهم واجتمعت كلمتهم على رفض ماعليه قومهم من ضلال . وبدأوا بالإنكار عليهم ودعوتهم للحق والتوحيد.

---

(١) التفسير الموضوعي- بتصرف-

رُفع أمرهم إلى الملك الظالم فتوعدهم وهددهم بالقتل والتعذيب والرجم إن هم لم يتركوا هذا الدين الجديد ويرجعوا إلى دينه ودين أتباعه .

أمام هذا التهديد والترويع والتسلط أصبح هؤلاء الفتية يواجهون فتنة في دينهم وأصبحوا أمام خيارين لاثالث لهم إما أن يثبتوا على دينهم ويتمسكوا به عندها سينالهم ما ينالهم من هذا الطاغية!! وإما أن يتنازلوا ويتراجعوا ويتركوا هذا الدين وعندها سيسلمون من هذا الملك ومن تهديده وتعذيبه واستبداده.

ثبت هؤلاء الفتية – بالرغم من قلة عددهم وصغر سنهم- إلا أنهم ثبتوا.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن مالذي أعانهم على الثبات؟ أوبصيغة أخرى كيف ثبتوا ؟ ؟؟

قال تعالى:(**وربطنا على قلوبهم**) ⟵ شددنا على قلوبهم قوّيناها وثبتناها ليواجهوا رياح الفتن وأعاصير المحن.

ومن ربط الله على قلبه ثبّته وسكّنه وطّمأنه.

وكأن القلب هو شيءٌ قابل للتمزق والتوزع والتبعثر فإذا شُدَّ وربط وأُدير عليه حبل الإيمان فإنه سيثبت ويستقر ويهدأ وتزول اضطراباته ومخاوفه.

هذا الربط هو التثبيت

وهو من أكبر نعم الله على العبد ، يوم أن يربط على قلبه في الشدائد والفواجع والملمات والمفزعات.

- تأمل كيف ثبت الله مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم بثبات أبي بكر الصديق لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الخبر عليهم كالصاعقة جثى الناس على الركب وكادت عقولهم أن تطيش !! عمر وهو عمر الملهم المحدث القوي الذي يفرالشيطان منه حين سمع الخبر أخذ سيفه وقال: من سمعته يقول أن رسول الله قد مات قطعت رأسه!! فيأتي أبو بكر بخطواته الثابتة بعد أن قبَّل جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : (بأبي أنت وأمي يارسول الله طبت حياً وميتاً) يصعد على المنبر ويقول (أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت، ثم قرأعليهم (وما محمد إلا رسول ٌ قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم...)

فنزلت الآية برداً وسلاماً على قلوبهم وكأنهم لم يسمعوها إلا في تلك اللحظة فقط وبثباته ثبت الله أمة بأكملها!!

- ثم تأمل كيف ربط الله على قلب الإمام أحمد في محنته المشهورة (فتنة خلق القرآن) سُجن الإمام وجُلد وكان يُجلد وهو صائم فيُغمى عليه ، كان دقيقاً نحيل الجسم والجلاّد كان جسيماً ضخماً ومع ذلك كان الخليفة المعتصم يقول للجلاّد وهو يضرب في الإمام شُدّ عليه قطع الله يدك !! ثم هو بنفسه يأخذ السوط ويجلده لعله أن يتزعزع أو يضعف أمام كل هذه السياط وهذا الجلد

لكنه ثبت رحمه الله في هذه المحنة العظِيمة وبثباته ثبت ملايين البشر فثبات العالِم سبب من أسباب ثبات الناس.

وصور الثبات كثيرة ومنها الثبات أمام الشهوات المحرقة (وهذا النوع من الثبات عزيز) يوم أن تتوفر كل دواعي المعصية وتتيسر أسبابها ويصبح العبد قريباً منها وفي قلبه حب وحنين وشوق لها وللذتها- والمعاصي لها لذة – هذه اللحظة هو بين أمرين حبه لربه وشوقه لمعصيته ، يشتهي لكنه يخاف ، ضاغط التقوى بداخله والنفس اللوامة يضغط عليه وشهوته التي بدأ نارها يصطلي تضغط عليه ، هل سيقدم ربه ؟ أم يقدم شهوته التي أحاطت به وأسَرتهُ عندها يعيش في لحظات اصطبار ومصابرة وألم ومجاهدة يتحمل فيها من أجل ربه مالا تتحمله الجبال الراسيات فإذا أراد الله به خيراً يأتيه لطف من الله في تلك اللحظة فيثبته وينجيه منها......

- إليك صورة أخرى من صور الثبات وسأختم بها ...

قال صلى الله عليه وسلم:

(يأتي زمانٌ على الناس الصابرُ فيه على دينه كالقابض على الجمر)(١)

هذه جمرة مشتعلة وأنت تقبض عليها ياترى مالذي ستفعله هذه الجمرة بيدك؟؟

ستحرق الجلد وتحرق العصب حتى تصل إلى اللحم ومع ذلك أنت قابضٌ عليها

لم تلقِ بها من يدك!! هذا هو الثبات في حقيقته.

أن تواصل سيرك إلى الله .. أن تداوم على استقامتك .. أن لاتتذبذب ولاتروغ ولاتزوغ وتتقلب وتتلون كل يوم أنت بحال ، اليوم مطيع وغداً مقصّر.

اليوم تقرأ القرآن وغداً يثقل عليك وتتهرب منه!!!
اليوم تقوم وغداً تنام
اليوم تسير إلى الله خطوات وغداً تنتكس وترجع إلى الوراء

---

(١) رواه الترمذي.

هذا الانقطاع والتذبذب والتقلّب يُضعف إيمانك يجعل إيمانك يتقهقرو يتراجع وينقص وكما قال الأوزاعي رحمه الله (إن الإيمان يزيد حتى يبلغ أمثال الجبال وينقص حتى لايبقى منه شيئ)(١)

لذلك ليست الفضيلة الكاملة فقط في قول ربنا الله وإنما الفضيلة الكاملة في الاستقامة عليها (**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون..**)

الرجل الذي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله، قل لي قولاً في الإسلام لا أسئل عنه أحداً غيرك، ماذا قال له؟؟ قال : (قل آمنت بالله ثم استقم)(٢)

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بماذا أوصى العلماء والعباد؟؟ بهذه الاستقامة وبهذا الثبات فقال : (يامعشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً أو شمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)(٣)

- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يدعوا بالثبات(اللهم إني أسألك إيمانا لايرتد ونعيماً لاينفد...)(٤)

بل رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه الثبات فكان من دعائه (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد)

ومن هذا الثبات (المداومة على العمل) ولوكان قليلاً.

حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : (أدومه وإن قل)(٥)

وكان عمله ديمةً صلى الله عليه وسلم كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها (٥)

وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه)(٦)
أي داوموا عليه ولازموه.

---

(١)تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة للدكتور عبد الرزاق البدر.(٢)صحيح مسلم – كتاب الإيمان.
(٣) فتح الباري – كتاب الاعتصام حديث رقم ٧٢٨٢.
(٤) مسند الإمام أحمد ٤٠٠/٠ نقلاً عن كتاب أخلاقنا د. محمود محمد الخزندار
(٥-٦) صحيح مسلم كتاب – صلاة المسافرين- رقم الحديث ١٨٢٥.

قال النووي (وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة ، والذكر، المراقبة، والنية ، والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة)[١]

فالقضية قضية إيمان يُرفع

إيمان يزيد

بنيان إيماني يقوى ويتم ويبلغ الكمال

ولن يحصل هذا كله إلا بالثبات ... بالاستقامة...بالمداومة.

أما القفزات المندفعة التي يسير فيها المرء إلى الله ويتقدم بقوة وباندفاع وبشدة ثم يفتر وينقطع ويتراخى هذه لن تؤثر كثيراً ،، نعم يأجره الله عليها فالله لايضيع أجر من أحسن عملاً ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ، لكن القضية ليست قضية أجور فقط**!!** وإنما هو كما قلت لك إيماناً يرتفع وبنيان يقوى ويكتمل وهذا لن يكون إلا إذا كنت على

حال واحدة

بنية واحدة

وعزم واحد ووجهٌ سرمديٌ واحد

ومن دام ثباته قطف ثماره...

نعم يفتر الإنسان ، والفتور وارد – لكن المؤمن رقدته خفيفة لايطول فتوره ولا تطول غفلته وانقطاعه

فهنيئاً لمن استدرك نفسه

وحمل على نفسه وشيطانه حملة قوية عازمة

وكان رجوعه سريعاً....

---

(١) شرح النووي ٣١٢/٦

- قلنا ربط الله على قلوب هؤلاء الفتية فثبتوا على دينهم واستقر رأيهم أن يعتزلوا قومهم ويفروا بدينهم.

وهذا هو المشروع في وقت الفتن الفرار منها ، وعدم التصدر لها فإن من تشرّف لها ستستشرفه : إي تقلبه وتصرعه.

فالفتن خطافة والإنسان ضعيف والقلوب تتقلب لذلك حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن (من وَجَدَ فيها ملجأً فليعذْ به)(١)

أي من وجد مكاناً يعتزل فيه ويعتصم منها فليعتزل ، فإن من فرّ من الفتنة سلمه الله منها وكفاه إياها.

استغل هؤلاء الفتية انشغال قومهم في عيد من أعيادهم ففروا هاربين ، لم يعتمدوا على أنفسهم ولا على شبابهم ولا قوتهم وإنما اعتمدوا على ربهم ، وسألوا ربهم الرحمة والإيواء(**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً**)

دعاءٌ صادقٌ ، وتضرُعٌ واستعطاف فيه أدبٌ مع الله وتودد إليه أي: يامن خلقتنا ورزقتنا وهديتنا ليس لنا ملجأٌ إلا أنت ، نرجو رحمتك ونلتمس رشدك.

هم لجأوا إلى الله ومن لَجأ إلى الله آواه...

هم بذلك دخلوا منزلة (الجوار) وهي منزلةٌ عالية رفيعة من منازل الأيمان ، المقصود بها أن يطلب العبد جوار ربه ، يطلب أن يُدخله الله في ضمانه وأمانه وعصمته وحفظه.

ومن كان في جوار الله فهو عزيز ، بل عزيز جداً... تأمل في الدعاء الذي علّمنا إياه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خاف من ظلم سلطان أو مكر ماكر أو كيد كائد

(الله أكبر ، الله أعزُّ من خلقه جميعاً، الله أعزُّ مما أخافُ وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ، الممسك السمواتِ السبعِ أن يقعنَ على الأرضِ إلا بإذنه ، مِن شرِّ عبدك فلان وجنودِهِ وأتباعِهِ وأشياعِه من الجنِّ والإنس ، اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعزَّ جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك) (ثلاث مرات)(٢)

---

(١) صحيح مسلم- كتاب الفتن رقم الحديث ٧١٧٦،

(٢)البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد أنظر حصن المسلم صفحة ٨٦.

(عزّ جارك) من كان في جوارك يارب فهو العزيز ، لايؤذيه أحد، لايصل إليه أحد

لايتسلط عليه أحد ، فهو في حفظك وأمانك وعنايتك وضمانك فالله يجير من استجار به من عباده الصالحين ، لا يُسلمهم ولا يخذلهم، ولا يضيعهم حاشاه جل جلاله

لايمكن أن يضيّع عبداً أعتصم به ، وانطرح عند بابه وكان صادقاً في طلب الجوار وقال: يارب أنا في جوارك

- يارب ليس لي إلا أنت

يارب انصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي

أنّى لهذا العبد أن يضيع؟؟؟

لم يُضيّع الله هؤلاء الفتية بل آواهم أعظم إيواء ، وحفظهم أعظم حفظ ، وأمنهم من أعدائهم ووكلهم إليه ولم يكلهم إلى أنفسهم وسنرى كل هذا واضحاً جلياً في أحداث القصة بإذن الله.

ولكن قبل أن ندخل في صور حفظ الله لهم أريد أن أقف أيضاً مع منزلة (الهجرة)

والهجرة معنىً كبير، وكبير جداًومنزلة عظيمة ، آيات كثيرة في القرآن تكلمت عنها

الهجرة هجرتان:

هجرة أبدان — هجرة قلوب

(الهجرة الحسية) — (الهجرة معنوية)

هجرة الأبدان : هي الهجرة من أرض إلى أرض، أن يفارق الإنسان أرضه وأهله ودياره وينزل في أرض لايعرفها ويساكن أناس لم يألفهم.

- إبراهيم عليه السلام هو أول من هاجر في سبيل الله حين تبرأ من قومه واعتزلهم وترك أرض العراق وخرج مهاجراً وقال(إني مهاجرٌ إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم). هاجر رسولنا صلى الله عليه وسلم من مكة ووقف ينظر إلى أرضه وبلده في نظرة وداعٍ أخيرة وهو يقول (ما أطيبك من بلد، وما أحبك إلي، ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنتُ غيرك)(١)

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه.

- وها هو المهاجر الذي أخبرنا الله عنه في سورة النساء (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيرة وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله...)الآية.

رجلٌ كبير في السن ، من المستضعفين الذين بقوا في مكة ولم يهاجروا مع رسول الله رأى نفسه يعيش بين كفار مكة ، تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكر إخوته الذين هاجروا، تحرك قلبه للهجرة واللحاق بهم فخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة ، لم يفكر في كبر سنه ولا في شيخوخته وضعفه ، وأنه سيسير في هذا الطريق لوحده، ويقطع هذه الصحراء لوحده لغى كل هذا من تفكيره !! ولم يبقى أمام عينيه إلا أنه يريد الهجرة إلى الله ورسوله ، هانت عليه نفسه، بذلها لله وخرج مهاجراً (ومن عرف مايطلب هان عليه مايبذل)في الطريق أدركه الموت،فضرب إحدى كفيه بالأخرى وقال : اللهم هذه بيعتي لك وهذه بيعتي لنبيك ثم مات!!

هذه الهجرة وهذا الخروج وهذه الخطوات التي مشاها والكف التي ضرب بها الأخرى وهو في الصحراء لايعلم به أحد هل ضيعها الله له؟؟

لم يضيعها سبحانه وبحمده بل حفظها وأنزل فيها قراناً يتلى(ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)

أبهم الله الجزاء ولم يفصّله ولم يحدده وهذا يدل على التعظيم أي عظِم الثواب والآجر فلا يقدر قدرهُ إلا الله (فقد وقع أجره على الله).

وبالعموم كل مهاجرٍ إلى الله فهو موعود بالتعويض والسعة والثواب وأن الله سيخلف عليه ، يجد في الأرض مراغماً قال ابن عباس : المراغم التحول من أرض إلى أرض (١) وقال مجاهد: يعني متزحزحاً عما يكره(٢)

أي أنه سيجد مكاناً ومتحولاً أفضل من المكان الذي كان فيه، وسيجد سعة في الأرض ، وسعة في الرزق، وسعة في الصدر، وسعة في كل شيء، وهذا وعد من الله والله لايخلف وعده.

هجرة القلوب : الهجرة المعنوية

هي الهجرة التي لاتنقطع ، مستمرة إلى يومنا هذا ، وهي التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهاجر من هجر مانهى الله عنه)(١)

كل من خرج من معصية إلى طاعة فله حظ من هذه الهجرة

وكل من خرج من بدعة إلى سنة له حظ من هذه الهجرة

(٢،١) المصباح المنير ، سورة النساء

(٣)البخاري (كتاب الإيمان)

وكل من اُبتلي بالجلوس مع أناس فارغين ومجالس فارغة ولم يكن بيده حيلة أن يقوم من ذاك المجلس ، فأرتحل بقلبه إلى الله وإن خالطهم بجسده فله حظ من تلك الهجرة.

واستمع لكلام ابن القيم(١) رحمه الله وهو يقول(واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لايجرّ عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك وشتات قلبك ، وضعف عزيمتك ، وتفرّق همِّك، فإذا بُليت بهذا- ولابد منه-فعامل الله تعالى فيه واجتهد أن تأخذه معك وتسير به ، فتحمله ولايحملك ، فإن أبى ولم يكن سيره مطمع فلا تقف معه بل اركب الدرب، ودعه ولاتلتفت إليه ، فإنه قاطع طريق ولوكان من كان،فانج بقلبك)

فكل مهاجر موعود بالتعويض سواء كانت هجرة أبدان أو هجرة قلوب و من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه...

هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم وهاجروا إلى ربهم فتولى الله حفظهم والله إذا تولى حفظ شيء سخر له من الأسباب ما لايخطر على بال أحد وتعال معي أيها القارئ الكرليم لنشاهد صور حفظ الله لأصحاب الكهف:

١) أول هذا الحفظ: أن الله آواهم إلى كهف ، هذا الكهف ليس بعيداً عن مدينتهم التي خرجوا منها ، وعادةً الناس تعرف أرضها وبلادها حجراً حجراً ، ومع ذلك عمّى الله أبصارهم ثلاثمائة سنة لم يصلوا إلى هذا الكهف.

كما عمى الله أبصار قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهم في غار ثور، يقول أبو بكر: يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟؟

٢) الصورة الثانية من هذا الحفظ: ضرب الله على آذانهم وليس على أعينهم (**وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً**) أراد الله أن يناموا نوماً طويلاً ثقيلاً وهذا لن يكون إلا إذا تعطلت جارحة السمع،النوم بحد ذاته في وضع مثل وضعهم كونهم في رعب وفزع وقلق هاربين من قومهم ومن ملك جبار طاغية يعتبر حفظ لهم،إذ أن الخائف عادةً لاينام ، والمفزوع والقلق والمضطرب لاينام فعندما يُنيمهم الله في موطن فزع فهذا من الحفظ لهم والرحمة بهم.

---

(١) الوابل الصيّب لابن القيم.

السيدة عائشة رضي الله عنها: في حادثة الإفك حين ذهب الجيش وتركها لوحدها في الصحراء، فتاة صغيرة إن قلبت بصرها يميناً أو شمالاً لن ترا إلا رمالاً وجبالاً

ولن تسمع إلا أصوات الريح والهواء أو أصوات الذئاب والوحوش والسباع فكم وكم من الخوف والفزع سيسيطر عليها ؟؟ كم من الأفكار والواردات التي سترد عليها؟؟ ولكن الله امتن عليها فأنزل عليها النوم حفظاً لقلبها من كل هذا الفزع والقلق فنامت تحت تلك الشجرة التي جلست تحتها تنتظر من يعود إليها.

كما امتنّ الله على المؤمنين في ليلة بدر(وإذ يغشيكم النعاس أمنةً منه)(١) فأنامهم وهم في خوف وترقب وحذر في الصباح ستدار معركة، حربٌ وكرٌ وفرَّ، والفارق هائل بين الفريقين من حيث العدد والعدة ، والنوم بعيدٌ جدٌ بعيد فأنزل الله عليهم النوم وهم في موطن فزع، وكل هذا صورة من صور حفظ الله .

٣) الصورة الثالثة في الحفظ:**(وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود)**

مع هذا النوم الثقيل الطويل كانت عناية الله تحوط بهم فناموا وأعينهم مفتوحة، فمن رآهم يظنهم أيقاظ وقيل أن الحكمة في ذلك(حفظ أبصارهم أن تتجمد وتلتصق الأجفان بطول المدة وهذا من لطف الله بأهل الكهف)(٢)

٤) الصورة الرابعة ألقى الله عليهم الهيبة والرعب فلا يجرؤ أحدٌ على الدنّو منهم**(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً)**لو أشرفت عليهم وهم نيام في الكهف لوليت منهم فراراً من الوحشة والرهبة التي حفظهم الله بها ولُملئت منهم رعباً وتأمل بناء الفعل(ولمُلئتَ) ← فيه تصوير لتمكّن الرعب داخل النفس وشموله أجزاء الجسد فكأنما مُلئ من هامه إلى إبهامه وماكان هذا المعنى ليتحقق لوقيل، لامتلأ صدرك بالرعب(٣).

الرعب : سلاح رباني ، جندي من جنود الله، ينزله الله على متى أراد ليحفظ به من يريد من عباده وينصر به من يريد.

قذفه الله في قلوب يهود بني النضير (فَأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين..) الحشر(٢).

---

(١) الأنفال.

(٢)التفسير الموضوعي ٣١٢/٤ ،

(٣) التصوير البياني في آيات الأمن والخوف ، د. زينب كردي

وقذفه في قلوب بني قريظة فنزلوا من حصونهم(وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب...) الأحزاب(٢٦).

والقذف هو الإلقاء بقوة من علّو، ليبلغ سويداء القلب فيهتز و يضطرب.

أولئك اليهود المحتمين بحصونهم الواثقين من صمودها ضدَّ أي هجوم كان، يفجؤهم القويّ المتين بسلاح معجزٍ ، غفلوا عنه، ولم يحسبوا له حساباً ، أصاب قلوبهم، أصاب قلوبهم فأرتكز فيها و ضعضع نفوسهم من دواخلها فما أغنت عنهم حصونهم وأسلحتهم من الله شيئاً.(١)

٥)الصورة الخامسة (**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**)

أسند الله فعل التقليب إليه جل جلاله وهذا فيه تشريف لهم وبيان لعظيم لطف الله بهم حتى لاتتآكل أجسادهم.

٦)الصورة السادسة (**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوةٍ منه**)

جعل الله الشمس لاتنالهم بأذى ، بالرغم أنهم في مكان واسع منفتح معرض للشمس لكن الله صرفها عنهم فلا تؤذيهم بحرارتها!!

تأمل كيف ينشر الله ألطافه على أوليائه ، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة قال الله عنها (الشمس والقمربحسبان) يسيران في نظام دقيق منضبط غاية الانضباط لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار.

و بالرغم من هذا الانضباط يأمر الله هذه الشمس أن تزّور عنهم وتميل عنهم ولاتؤذيهم ثلاثمائة سنة والشمس مأمورة أن تميل عنهم!!! فسبحانه وبحمده الملك ملكه والأمر أمره وكل شيء بيده ، لايعجزه شيء ، أمره نافذ إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون.

---

(١) التصوير البياني في آيات الأمن والخوف ، د.زينب كردي.

تأمل أيها القارئ في هذا الحفظ العظيم

ثلاثمائة سنة...وفتية نائمون

أجساد تقلّب... أعين مفتوحة....مهابة ألقيت عليهم

شمس مسخرة لهم....كهفٌ عمّيَ عن أبصار الناس

ثلاثمائة سنة...لم يتغير فيهم شيء

لم يؤذيهم شيء

لم يتجرأ أحد ولا كائن من الكائنات أن يؤذيهم أو يقترب منهم

كل هذا لأنهم كانوا في حفظ الله ، ومن كان في حفظ الله فهو المحفوظ على الحقيقة

(فالله خيراً حافظاً وهو أرحم الراحمين)

ونحن كمتدبرين لكتاب الله سنقف وقفةً مع اسم الله (الحفيظ)

التعرّف إلى الله هو رأس العلم، وزبدة المعرفة، وهو الحلاوة التي لا تدانيها حلاوة واللذة التي هي فوق كل لذة .

١) إذا عرفته جل جلاله تفتحت لك أبواب العلم، وفُتح لك كل مغلق، وأبصرتَ السبيل وأضاء لك الطريق ، وازددت نوراً على نور.

٢)إذا عرفته سبحانه وبحمده تعلق قلبك به ، ولا يتعلق القلب إلا إذا أحب ولا يحب إلا من شهد الجمال وأنت ترى جمال الله عز وجل في قيوميته، وحسن إجابته، وكرم رعايته ، وعظيم لطفه ، وجليل ستره وحلمه وقرب رحمته (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)(١)

٣) لذلك أنت أمام علم من أجّل وألطف العلوم كلما اغترفت منه ازددت نوراً في التعامل مع الخلق

وازددت تزكية في نفسك

وإتماماً لمكارمك وأخلاقك

فاللهم عرّفنا بك وعلّمنا عنك وافتح لنا بفضلك وكرمك فتحاً مبيناً.

---

(١) كتاب بلاغ الرسالة القرآنية للدكتور فريد الأنصاري – بتصرف-صفحة ٨٧ .

الحفيظ : جاء الاسم على وزن (فعيل) صيغة مبالغة تدل أنه: شديد الحفظ ، عظيم الحفظ، وأن حفظه محيطٌ بكل شيء.

والحفظ نوعان

حفظ عام حفظ خاص

الحفظ العام ←—— يدخل فيه كل مخلوق المؤمن والكافر، البر والفاجر، السماء والأرض والبحر والبر والدواب وكل شيء.

ودليله (إنَّ ربي على كل شيء حفيظ)(هود(٥٧)، وقوله (وربك على كل شيء حفيظ)(سبأ(٢١)

الله سبحانه وبحمده يحفظ السموات والأرض ومافيها وقد لانشعر نحن بهذا الحفظ فهي أمامنا ثابتة مستقرة متى نشعر ؟؟ إذا حصلت الزلازل- والفيضانات- والأعاصير والبراكين ورأيت الناس يخرجون للطرقات، والأشجار تُقلع والبيوت تهتز- والأرض تتصدع ، عندها ستستشعر هذا الحفظ وتستشعر قوله تعالى(وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم آياتها معرضون)(الأنبياء)(٣٢).

وقوله (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)الحج(٦٥)

فلا تتحرك ولاتميل ولا تسقط وكل هذا من الحفظ والله يحفظ ذلك بلا مشقة ولا كلفة، ودون أدنى تعب أو نصب كما قال سبحانه(وسع كرسيهُ السموات والأرض ولايؤدُه حفظهما وهو العلي العظيم)البقرة(٢٥٥)

وتأمل سعة هذا الحفظ في قوله تعالى(إن كل نفسً لما عليها حافظ)فكل نفس موكلٌ بها حافظ يحفظها بأمر الله، حفظةً كراماً من الملائكة ، يحفظونه في يقظته ومنامه

وفي سيره وجلوسه وفي دخوله وخروجه وفي سفره وإقامته من المهالك والمعاطب ومصارع السوء (له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)الرعد(١١)

ويحفظ على الخلق أعمالهم ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم ولا تغيب عنه غائبة ولاتخفى عليه خافية(وإنَّ عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ماتفعلون)الانفطار(١٠-١٢)

ويوافيهم بها يوم الحساب إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

الحفظ الخاص ← وهو خاص بعباده المؤمنين.

قاعدة هذا الحفظ لمن أراده وأراد أن يدخل فيه هو قول رسول صلى الله عليه وسلم **(احفظ الله يحفظك)**(١)

فالله يحفظ من يحفظونه ، وعلى قدر حفظك لربك فإنه يحفظك

إذا حفظته حفظاً بالغاً فإنه سيحفظك حفظاً بالغاً

وإذا حفظته حفظاً قليلاً فإنه سينقص حفظه لك

والجزاء من جنس العمل.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن : كيف يحفظ العبد ربه؟؟

فصَّل أهل العلم في هذه المسألة ولكننا سنجمل الكلام في ثلاث نقاط

أن تحفظ حدود الله

أن تحفظ جوارحك

وأن تحفظ قلبك

هذه أمورٌ ثلاث إذا حفظتها تأهلت أن يحفظك الله حفظاً خاصاً.

حدود الله ← قال تعالى (والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) التوبة(١٢٢)

حدود الله هي أوامره ونواهيه وهذا يشمل الدين كله ولكن من أهم مايجب على المرء أن يحفظه من هذه الأمور والواجبات هي (**الصلاة**)

هي الميزان الذي تزن فيه حفظك لأوامر الله كلها.

يقول الله تعالى(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)البقرة(٢٢٨).

ويقول سبحانه (والذين هم على صلاتهم يحافظون)المعارج.(٣٤)

ويقول صلى الله عليه وسلم (من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهِن ومواقيتهنَّ وعَلِمَ أنهنَّ حقٌ من عند الله دخل الجنة)، أو قال: (وجبت له الجنة) أوقال : حُرم على النار(٢)

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن السني والبيهقي في شعب الإيمان ، راجع رسالة نور الإقتباس لابن رجب.

(٢)رواه أحمد بإسناد جيد-حسنه الألباني في صحيح الترغيب١/٢٧٦ .

وفي حديث (من حافظ عليهنَّ كن له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة)(١)

الصلاة هي رأس مالك.. هي رأس العبادات كلها هي خط الدفاع الأول عنك فالميت إذا وضع في قبره تأتي الصلاة عن رأسه لتدافع عنه وتقول(ماقبلي مدخل)(٢)

هي العبادة التي يرزق بها العبد النظر إلى وجه الله تعالى :(فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس و صلاة قبل غروبها فافعلوا)(٣)

وأهل الجنة إذا كشف الله لهم عن وجهه ورأوْه جل جلاله نسوا حتى نعيم الجنة من عظيم لذة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وبحمده ،فهذا هو النعيم الذي ليس بعده نعيم نسأل الله من فضله ، ولن تحصل عليه إلا **بالصلاة**.

هي التي تغسل الذنوب عنك(مثل الصلوات الخمس كمثل نهر ٍ جارٍ غمْرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات)(٤)

هذه هي الصلاة...

إذا أفلحت فيها أفلحت في سائر عملك.

وإذا ضيعتها وأنقصتها ونقرتها وسرقتها وما انتهيت منها إلا وهي تقول ضيعك الله

كما ضيعتني!! ثق أنك ستكون لما بعدها من أوامر الله وحقوقه أضيع.

لذلك أعيد عليك أيها القارئ الكريم العبارة السابقة (الصلاة هي الميزان الذي تزن فيه حفظك لأوامر الله كلها)

وكأن الصلاة هي الأصل فإذا ضبطت الأصل ستضبط الفروع ولابد .

١) ضبط الصلاة والمحافظة عليها يبدأ من الوضوء، إسباغ الوضوء وإتمامه واستشعار أن الوضوء عبادة، وأن خطاياك تتناثر وتتساقط بهذا الوضوء إذا توضأ الرجل المسلم

خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قَعَدَ قعَد مغفوراً له)(٥)

---

(١)أخرجه أحمد بإسناد لابأس به.

(٢)رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني صحيح الترغيب ٤٠٤/٣

(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥)صحيح الترغيب والترهيب١٩٣

٢) من حفظك للصلاة أيضاً أن تعرف أن الصلاة محل امتحان، يمتحن الله فيه الناس وأن من حسُن وقوفه في صلاته حسن وقوفه بين يدي ربه فإذا دخلت في صلاتك لابد من المجاهدة، حتى لايغلبك الشيطان عليها فإن له كرَّات وغارات، لاسيما وقد عرفت أنه واضعٌ خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه.

فكن يقظاً

حارساً لصلاتك

مشغولاً بها، حابساً قلبك عن الوساوس والخطرات، جامعاً لشتاته

حتى تخرج منها وقد كتبت لك كاملة.

عن عمار بين ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

(إنَّ الرجل لينصرفُ وماكُتِبت له إلا عُشُر صلاته ، تُسعها،ثُمنها، سُبعها،ُدسها،خُمسها

رُبعها، ثُلثها،نصفها)(١).

٣)ومن حفظك لصلاتك أن تكثر وتلح على الله بالدعاء بأن يجعل قرة عينك في الصلاة وأن يرزقك الخشوع فيها ، فالخشوع هو لب الصلاة وروحها ولذتها.

(قد أفلح المؤمنون،الذين هم في صلاتهم خاشعون)المؤمنون(١)،وقال صلى الله عليه وسلم(مامن مسلمٍ يتوضأُ فيسبغ الوضوء، ثم يقوم في صلاته ، فيعلم مايقول، إلا انفتَلَ وهو كيوم ولدته أمه)(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم (أول شيء يُرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لاترى فيها خاشعاً)(٣)

---

(١)صحيح الترغيب والترهيب ٣٥٢/١

(٢)رواه الحاكم وقال، صحيح الإسناد-صحيح الترغيب١/٣٥٥.

(٣)صحيح الترغيب والترهيب٣٥٤/١.

فإن كانت الصلاة تشغلك، وتهمك ، وهي قضيتك وتريد أن تترقى فيها وأن تُحسن فيها وأن تكون ممن إذا دخل صلاته استشعر أن الله ينظر إليه، ويستمع لقراءته ، فقلبه حاضر وجوارحه حاضرة بل وتترقى أكثر وأكثر فتكون ممن إذا دخل صلاته وكأنه يشاهد الله بين عينيه ، مستغرقٌ قلبه مع الله... مهما أطال.... ومهما قرأ...ومهما صف قدميه...

فهو متلذذ بصلاته يتمنى أن لاتنتهي!!! فأكثر من الدعاء فإن دعاؤك يكشف الهم الذي تحمله في صدرك وليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء.

حفظ الجوارح ⟵ كما قلنا في النقطة السابقة أن أهم وعلى رأس مايجب أن تحفظه من حدود الله وأوامره الصلاة فإذا حفظتها كنت لما بعدها أحفظ ، وإذا حفظتها سيحفظك الله في بقية أوامره.

فهنا نقول أن أهم مايجب أن تحفظه من جوارحك **اللسان**

احفظ هذا اللسان وسيحفظك الله في بقية جوارحك

(إذا أصبح ابن آدم فإنَّ الأعضاء كُلّها تكفّر اللسان فتقول:(اتق الله فينا فإنما نحن بك

فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا)(١) تكفّر اللسان : تتواضع وتتذلل وتناشده، اللسان بابٌ مخوف ، بابٌ وعر، قل من ينجو منه ويسلم منه، هو موطن البلاء، وهو أخوف ما يخافه الصالحون... بكلمة قد يرتفع الانسان، وبكلمة قد يسقط أبعد مما بين المشرق والمغرب. (لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته)(٢)

اعتلَّ بعير لأم المؤمنين صفية بنت حُييّ ، وعند زينب فضل ظهر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزينب (أعطيها بعيراً) فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذي الحجة والمحرم ، وبعض صفر (٣) ، وعن جابر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريحٌ منتنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(أتدرون ماهذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين)(٤)

ما استزلنا الشيطان إلا من ألسنتنا.!!

ولو فتحنا قوائم الألسن، وقوائم الكلمات التي ننطق بها ليلاً ونهاراً لوجدنا أنفسنا أمام آفاتٍ كالفيضانات تنهمر انهماراً وتغمرنا غمراً وما فينا أحدٌ يستثنى..!!

كلنا منهم!! وكلنا يتكلم!! وكلنا يخوض بلسانه ويلطخ!! ولا مجال للإسقاط..

---

(١) رواه الترمذي وابن ابي الدنيا، وحسنه الالباني صحيح الترغيب والترهيب(٩٣/٣) ،(٢) رواه أبو داود والترمذي والبهقي وقال الترمذي حسن صحيح(صحيح الترغيب٧٧/٣)

(٣)رواه أبو داود- صحيح الترغيب٧٧/٣) ، (٤) رواه أحمد وابن ابي الدنيا (صحيح الترغيب ٣/ ٧٩)

وتأمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه(والذي لاإله غيره ماعلى ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان)(١)

أبو بكر الصديق يجبذ لسانه ويقول (هذا الذي أوردني الموارد)(٢)

الله سبحانه يقول(ويلٌ لكل همزة لمزة) كم يأخذ الهمز واللمز من واقع الزمن؟؟

ثواني – لحظات مجرد حركة لسان إشارة بالعين أو بالفم ونحوها

وبالمقابل ماهو العقاب؟؟؟ ← ويل (وادي في جهنم تسيل فيه دماء أهل النار وصديدهم) أكثر ما نسود به صحائفنا زلات ألسنتنا وسقطاتها لذلك قال صلى الله عليه وسلم(ليس شيءٌ من الجسد إلايشكو ذَرَب اللسان على حدتّه)(٣)

ذرب اللسان : شرهُ وفحشه.

لذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم (من حفظ مابين لحيْيَهْ وما بين رجْليه دخل الجنة)(٤)

وبالعموم حفظ الجوارح ← هو أن تكفها عن الحرام وأن تستعملها في طاعة الله

فمن أراد أن يتمتع بجوارحه ويستشعر المعنى الذي نردده في دعائنا (متعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا واجعلها الوارث منا)

فسخرها في طاعة الله يمتعه الله بها.

أبو الطيب الطبري جاوز المائة وهو ممَتع بعقله وقوته وثب يوماً من سفينة إلى الأرض وثبةً شديدةً فعوتب على ذلك فقال: (هذه جوارحٌ حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر)(٥)

---

(١) صحيح الترغيب(٣/٨٥)

(٢- ٣) المصدر السابق

(٤) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي أنظر صحيح الترغيب(٣/ ٨٥) ونور الاقتباس(٤٦)

(٥) نور الاقتباس لابن رجب صفحة(٥١)

حفظ القلب : قلبك هو وديعة الله عندك فإياك أن تفرط أو تخون أو تُهمل هذا القلب

هو محل نظر الله عز وجل، وهو أنفس وأشرف وأغلى مضغة يمتلكها الإنسان وهو طريقك إلى الله فالسفر إلى الله ليس سفراً بالأقدام والنجائب والركائب وإنما هو سير القلوب إلى الله(يوم لاينفع مالٌ ولابنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم)

- وقد كنت استمع إلى إحدى حلقات برنامج (نورٌ على الدرب) الذي يبث في إذاعة القرآن الكريم فقالت إحدى المتصلات على البرنامج: أنها تعاني في الشتاء من الكسل والفتور في العبادة خاصة في الوتر وقيام الليل بسبب البرد الشديد...

فرد عليها الشيخ بعبارة هي الشاهد الذي أريده وهي عبارة موفقةٌ مسددة تبين لك أيها القارئ مكانة القلب!!

قال لها: (إذا كان القلب حي يتحرك البدن سواء في الصيف أو في الشتاء)

وهذا صحيح...

إذا ضخ القلب ضخت الجوارح ... وتحرك البدن ونشط في العبادة

وإذا ضعف القلب ضعفت الجوارح وفتر البدن وكسل عن العبادة.

ومالم نعتني بقلوبنا ستظل جوارحنا معطّلة وكما قال الحسن رحمه الله:

(داو قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم)جامع العلوم والحكم.

كيف نحفظ قلوبنا؟؟

احفظ قلبك من الشهوات والشبهات، حتى لايسقط قلبك ويضيع منك.

احفظ قلبك بتخليته وتصفيته وتنقيته من الدغل والخبث والسرائر الفاسدة ومعاصي القلوب فهي مفسدة للقلب ومتلفة له.

احفظ قلبك بأن تتعلم عن ربك اسمائه وصفاته فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فإن الله يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه.

احفظ قلبك بكثرة ماتسقيه وترويه من كلام الله، حتى لاينشف وييبس ويقسو هذا القلب

ويصبح كالأرض الجرداء القاحلة التي لانبات فيها ولا ماء.

(فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله)

احفظ قلبك بكثرة الأعمال القلبية (من حب وخوف ورجاء، وذل وخضوع وإنابة وإخبات وتوكل ومراقبة واقبال وتسليم وتفويض وتعظيم... وغيرها من أعمال القلوب)

درب نفسك عليها، فهي تضمن لك سلامة قلبك وزكاته ورقته ولينه ، قال صلى الله عليه وسلم (إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربك قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها)(١)

سبقت البشرى لأصحاب هذه القلوب من الله رب العالمين فقال:(وبشر المخبتين)

بشر كل من لان قلبه ، وارتجف فؤاده ، وذرفت دموعه....بشر كل من خاف ووجل وأخبت وأناب.

بشر كل من وجد دموعه حارة وحاضرة وقريبة ووجد بنفسه منجذباً إلى ربه في ليله ونهاره وصبحه ومساءه انجذاباً لاينقطع عنه....

ومن ذاك احساس المحب لقلبهِ بضرب وتحريك إلى الله دائماً

(وبشر المخبتين)

وفي الحديث (يدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير)(٢)

قلوبهم مثل قلوب الطيرفي رقتها وخوفها وفزعها وضعفها آواهين منيبين رجّاعين إذا آذنب أحدهم أقل ذنب وأبسطه انتفض كما ينتفض العصفور وعاد وأناب إلى ربه...

احفظ قلبك

فقلبك وديعةٌ عندك وعلى قدر عنايتك بقلبك سوف تؤجر، وما سعى الإنسان في إصلاح شيء أعظم من إصلاح قلبه.

هذه ثلاث محاور للحفظ احفظ حدود الله واحفظ جوارحك واحفظ قلبك إن حفظتها حفظك الله.

---

(١) السلسلة الصحيحة ١٦٩١،

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٧٠٩ .

١) وإذا حفظك الحفيظ فأنت في خير وإلى خير وقد حزت الخير كله

وإذا حفظك فلن يستطيع أحد أن يضرك أو يؤذيك أو يتسلط عليك.

٢) إذا حفظك زاد دفاعه عنك ونصرته لك وستره لمعايبك حتى لايراها الناس منك.

ونتيجة الحفظ وثمرته واضحة في قوله صلى الله عليه وسلم(احفظ الله تجده تجاهك)

أي أنك تجد الله معك في كل أحوالك، يحوطك، وينصرك، ويسددك ويقودك إليه

يحفظ عليك إيمانك وقلبك وأهلك ومالك وذريتك.

قال قتادة: من يتق الله يكن الله معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لاتُغلب والحارس الذي لاينام ، والهادي الذي لايضل ، إقرأ القرآن وأنت سترى الآيات تلو الآيات تلو الآيات تصور لك حفظ الله لأنبيائه، وحفظه للصالحين من عباده ، حفظه لصحابة رسوله صلى الله عليه وسلم لقلوبهم – لإيمانهم وهذا كثير وخاصة في السور التي تتكلم عن الغزوات....

ولكن مافائدة الآيات بدون إبصار؟؟

(قد جآءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسِه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ)(١)

٣) إذا حفظك حال بينك وبين معصيته، ذكر ابن رجب خبر ذلك الرجل الذي همَّ بمعصية فخرج إليها فمر بطريقة برجل يحدث في حلقة فسمعه يقول: أيها الهام بالمعصية أما علمت أن خالق الهمة مطلعٌ على همتك؟؟؟

فوقع مغشياً عليه وما أفاق إلا عن توبة(٢)

وكم وكم من الكلمات التي أسمعك الله إياها (وأنت في زعزعة وضعف وحيرة وفيك مافيك). يسمعك الله إياها من فم خطيب أو شيخ أو من إذاعة ونحوها، ليحفظ عليك دينك وإيمانك فتثبتك وتوقظك وتنتشلك من حيرةٍ كنت فيها أو تردك من خطوات لمعصية

مشيتها!! أسمعك الله إياها سماع قلب فحفظك بها وحال بينك وبين معصيته وهذا من صور حفظه جل جلاله .

---

(١)الأنعام (١٠٤).

(٢) نور الاقتباس لابن رجب – بتصرف- وأنصح القارئ بقرءة هذه الرسالة المفيدة.

٤) إذا حفظك حال بينك وبين سبب من أسباب الدنيا كان قد يؤذيك أو تتضرر فيه

يقول ابن مسعود رضي الله عنه (إن العبد ليهمَّ بالأمر بالتجارة والأمارة فينظر الله للملائكة فيقول اصرفوه عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه عنه)(١).

نتابع أحداث قصة أصحاب الكهف....

- بعد هذا الحفظ العظيم الذي حفظهم الله به ، وبعد أن تمت المدة التي كتبها الله عز وجل لهم أن يناموها في كهفهم (**ولبثوا في كهفهم ثلاث مِائةٍ سنين وازدادوا تسعاً**) بعد هذه المدة.....بعثهم الله وأيقظهم ، أخذوا يتساءلون بينهم كم لبثنا؟؟قال بعضهم يوماً، والبعض الآخر قال: بعض يوم، ثم ردوا أمرهم إلى الله (**ربكم أعلم بما لبثتم**)

شعروا بالجوع أرسلوا واحداً منهم وأوصوه أن يبالغ في أخذ الحيطة والحذر والتخفي ولكن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه ، لما أراد الله أن تُعرف قصتهم ويكشف أمرهم ومكانهم ليصبحوا آية من آياته هيأ الأسباب .. كيف؟؟

- ذلك الرجل الذي خرج ليشتري لهم الطعام لما دخل المدينة بُهت وأصابه الذهول والدهشة فقد تغيرت البلاد ومن عليها، كل شيء منها تغير، فجعل لايرى شيئاً من معالم البلد ولايعرف أحداً من أهلها فجعل يقول في نفسه

لعل بي جنوناً أو مسَّاً أو أنا أحلم؟؟؟

واصل سيره حتى اشترى طعاماً فأخرج النقود التي كانت معه أنكرها البائع ، بدأ يسأله من أنت ؟ من أين لك هذه النقود ؟ ماهو شأنك وماهي قصتك؟

- رفع أمره إلى ملك البلاد ، فسأله عن شأنه وخبره فأعلمهم وأخبرهم فقاموا معه إلى الكهف- ملك البلاد وأهلها- وقيل أن الملك دخل عليهم في كهفهم وسلم عليهم ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل)(١)
- اشتهر أمرهم بين الناس وارتفع قدرهم حتى قال البعض منهم (لنتخذن عليهم مسجداً)تعظيماً لشأنهم وتخليد لذكراهم.

وتأمل بعد الخوف الشديد الذي كان فيه هؤلاء الفتية والتهديد بالقتل والرجم والهروب والفرار أصبحوا الآن يقال عنهم لنتخذَّن عليهم مسجداً،وهذا يعطيك درساً بانه ليست العبرة بنقص البداية وإنما العبرة بكمال النهاية،،

---

(١) نور الاقتباس – لابن رجب- بتصرف-

(٢) المصباح المنير.

وكما قال ابن السعدي رحمه الله وختم القصة بهذه العبارة (من تحملَّ الذل في سبيل الله كان عاقبة أمره العز العظيم من حيث لايحتسب – وما عند الله خيرٌ للأبرار-

بقي لنا أن تعرف ماهو المخرج من فتنة الدين

لن نتجاوز فتنة الدين إلا بالثبات.
والثبات له مصدران:

١) القرآن (**واتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً**)الكهف (٢٧).

٢) الصحبة الصالحة (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا...**)الكهف(٢٨).

الطريق الأول للثبات

أن يكون لقلبك نصيب يومي من كتاب الله ، الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (وكذلك لنثبت به فؤادك)

فكلما اقتربت من القرآن ، وسقيت قلبك وشرايينك وأوردتك منه فإنك ستثبت بإذن الله وكلما ابتعدت وجعلت بينك وبين القرآن مسافات ومسافات وأغلاق وأقفال فلن تستطيع الثبات

القرآن أمره عجيب ....كتابٌ مبارك بكل ماتعنيه كلمة البركة، وبركته لاتعد ولا تحصى ومن هذه البركة (التثبيت الذي يحصل لصاحبه إذا واجهته فتنة.

الطريق الثانى فى الثبات

الصحبة الصالحة هم معونة لك بعد الله على الثبات، الإنسان لوحده قد يثبت مرة واثنتان وثلاث ولكنه مع كثرة الفتن والإغراءات وتسلّط النفس الأمارة بالسوء وتزيين الشيطان فإنه قد يسقط ، ويضعف ويتراجع ، لذلك هو يحتاج لرفقة صالحة تقويه تثبته ، تشد عزمه فالإيمان يدوم مع الجماعة ، والإيمان يزيد مع الجماعة.

وكما أن العقول تلّقح العقول فكذلك القلوب تتلقح بالقلوب....

لذلك جاء الأمر الرباني(**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ...)

فئة لاتخسر ولاتنهزم ...

يقوي بعضهم بعضاً، يثبت بعضهم بعضاً، يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر.

وفي المقابل احذر من صحبة أهل الهوى الغافلين(**ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**)

مثل هؤلاء لاتصحبهم،، **فكل من استحكم فيه هواه انفرط عليه أمره** ،، كما تنفرط حبات المسبحة وتتناثر وتتساقط الحبة تلو الحبة.

أصحاب الهوى ، أصحاب الشهوات، الغافلين الفارغين هؤلاء محقوا البركة عن أنفسهم، ومحقوا البركة عمن جلس معهم وصحبهم، هم في أمرٍ مريج هم في ضياع

أمورهم مختلطة ، أمورهم متشابكة، قد عرت قلوبهم من البصيرة.

والبصيرة هي الفرقان الذي قال الله عنه (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً..) إن شئت سميه فراسةً، فهماً، حسن إختيار ، نوراً يقذفه الله في القلب يميز به بين الحق والباطل ، يُحسن عقله وتحسن تصرفاته ، ويسدد في إختياره.

هذا الفهم وهذا العقل وتلك البصيرة لاتعطى لصاحب هوى يغرف من الشهوات والمتع والملذات غرفاً!! وإنما تعطى للإنسان بعد وعي وجَلَد وتربية ومجاهدة وعكوف على النفس ، أطرها على الحق أطراً، فيقذف الله البصيرة في قلبه ، ويجري الحكمة على لسانه، فينفع نفسه وينفع من صاحبه فتنالك بركة هذه الصحبة.

فإن وجدت هذه الصحبة كن معهم ولا تبتعد عنهم. فهم القوم الذين لايشقى بهم جليس.

قصة صاحب الجنتين

صاحب الجنتين

هذه القصة محورها قائم على رجلين بينهما صحبه، أحدهما غني والآخر فقير

جعل الله للغني جنتين وصفها الله عز وجل خمسة أوصاف بقوله(**واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعنابٍ وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً،كلتاالجنتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً**)

١)**جنتين من أعناب** ←جنتين مليئتين بأشجار العنب بأشجار وعناقيد العنب وعروش العنب وكلنا يعرف ماتضفيه أشجار العنب من جمال ورونق وبهاء ونضرة.

٢)**وحففناهما بنخل** ← هاتين الجنتين مسورتين بأشجار النخيل الشامخة الباسقة المتراصة بجانب بعضها ذات الثمر النضيد المصفوف بعضه فوق بعض بطريقة يعجب لها من ينظر فيها ويتأمل.

٣) (**وجعلنا بينهما زرعاً**) وبين النخيل وبين العنب مسطحات ومساحات زراعية خضراء واسعة ممتدة لتكتمل تلك البهجة وذلك الجمال.

٤)(**كلتا الجنتين آتت أُكُلها ولم تظلم منه شيئاً**) هاتين الجنتين إذا طرحت ثمارها طرحتها كاملة لاينقص منها شيء، وهذا على غير المعهود في سائر الحقول والبساتين التي مهما أهتم بها صاحبها وإلا وينقص شيء من محصولها بسبب الآفات والحشرات وتقلبات الجو ونحو ذلك.

ولكن هاتين الجنتين مباركتين ، والبركة إذا حلت في شيء لاتسل عن سعته وبسطه ونمائه وكثرته ونفعه ، فهي الخيرالكثير المستمر المتواصل الذي لاينتهي وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يسأل ربه البركة فيقول(اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك)

٥) (**وفجرنا خلالهما نهراً**) ←فجرالله بين هاتين الجنتين نهراً يجري بمائِهِ الرقراق وجداوِلِه التي تسري بين بساتين العنب وصفوف النخيل.

هذا هو وصف الجنتين فماهو وصف صاحب الجنتين؟؟

قال تعالى(**وكان له ثمر**) أي كان له تجارة يصرفها وينميها ، وأموالٌ يستغلها ويُربيها ، ودوابٌ يُعلِفها ويُربيها ، فضلاً عن الجنتين.(١)

بمعنى أن الله قد بسط لهذا الرجل في الرزق فهو يتقلب في نعم الله وعنده ماعنده من زينة الدنيا وأموالها ومساكنها ومراكبها وتجارتها.

ماذا قال هذا الغني لصاحبه؟؟

(قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً).

بهذه العبارة دخل هذا الرجل الغني في إطار الفتنة .(فتنة المال- فتنة الدنيا) اغتر بدنياه ، اغتر بهذه الأموال وبهذه النِعم وبدأ يتباهى ويتبطر ويفخر على صاحبه وهذه هي بداية المرض!!!! أيّ مرض؟؟؟إنه **العُجب**.

وهو من أسوأ الصفات التي يُبتلى بها الإنسان ، خصلة ذميمة ، صفة مقيتة ، آفة شيطانية تُورث القلب بقع سوداء يصعُب إزالتها ، يُعطّل سير الإنسان إلى ربه، فهو من المهلكات ، قال صلى الله عليه وسلم :(ثلاثٌ مهلكات شحٌ مطاع وهوىً متبع وإعجابُ كل ذي رأي برأيه)(٢).

بل لاتقل خطورته عن الرياء- وهذا شيءٌ مخيفٌ جداً لابد أن يستوقف الإنسان- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(العُجبُ قرينُ الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق والعُجب من باب الإشراك بالنفس)(٣).

الرياء أنت تعمل من أجل الناس ومدح الناس ، ونظر الناس فالشرك يأتي من ناحية الناس.

بينما العُجب : أنت تستعظم نفسك ، تفخر بنفسك ، تُضخّم نفسك،ترفع نفسك فوق ماتستحق فالشرك يأتي من جهة النفس.

وأول السقوط يوم أن ترى نفسك عظيماً ، كبيراً، وترى أنك أفهم الناس ، وأعقل الناس ، وأحكم الناس، وأعلم الناس!! عندك ماليس عند الآخرين ، وتعيش في حالة كمال زائفة صورة أنت رسمتها لنفسك وعشت وتبلورت في داخلها حتى تعاظمت عليك نفسك وخسِرتَ دنياك وآخرتك والله يقول(فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى)

---

(١) لتفسير الموضوعي(سورة الكهف)

(٢)رواه الطبراني.

(٣)الفتاوى ١٠/٢٧٧.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول(من تعظَّم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهوعليه غضبان)(١) وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام(بينما رجلٌ يمشي في حلّةٍ تعجبه نفسه مُرجلٌ رأسه يختال في مِشيته خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)(٢)

يقول النووي: (اعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب فمن أعجب بعمله حبط عمله وكذلك من استكبر حبط عمله)فإن قلت لماذا يحبط عمله؟ كان الجواب لأن الله عز وجل لايقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه،واستُعين به سبحانه على آدائه، والمعجب يستعين بنفسه أكثر مما يستعينُ بالله.(٣)

أذاً نحن أمام مرضٍ عضال وداءٍ دويّ ودسيسةٍ قلبية خطيرة حريٌ بالإنسان أن يدفعها عن نفسه دفعاً، وإياك أن تتصور أن هذا الكلام لايعنيك وأنه لايمكن لهذالمرض أن يتسرب إلى قلبك أو يحوم حولك بزعمك أنك من أهل الخير والصلاح والعلم والقرآن ، فتركن لنفسك وتطمئن لها!! احذرواستبصر إنها شهوة خفيةٌ شديدة الخفاءهي أخفى من دبيب النمل ، قد يعجز الإنسان أن يتحسسها في قلبه أو أن يسمع دبيبها، فتفقد قلبك لذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من هم في صلاحهم وتقواهم وورعهم كانوا يتفقدون قلوبهم ويتعاهدونها ويدفعون أي شائبة تُعرض على قلوبهم ولو كانت بسيطة ، هاهو عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - يمرَّ بالسوق وعليه حزمة من حطب ، فقيل له: مايحمِلك على هذا وقد أغناك الله ؟ فقال: أردتُ أن أدفع الكِبْر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لايدخل الجنة من في قلبه مثقال خردلةٌ من كبر)(٤)!!!

وهاهو عمر رضي الله عنه بعد أن أصبح أميراً للمؤمنين ينادي في الناس الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس، صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بماهو أهله، ثم قال: أيها الناس لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي قبضةً من التمر أو الزبيب ، فأظل يومي وأي يوم.ثم نزل ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ياأمير المؤمنين مازدت على أن قمّأت نفسك-عِبتَ-فقال ويحك يا ابن عوف!! إني خلوت فحدثتني نفسي أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها،، وفي رواية : إني وجدت في نفسي شيئاً فأردت أن أطأطأ منها.(٥) أراد أن يؤدب نفسه ويزدريها في جنب الله طرداً لهذه الشائبة

---

(١) رواه الطبراني – صحيح الترغيب.

(٢) متفق عليه - يتجلجل: يغوص وينزل فيها.

(٣)نقلاً عن كتاب حطم صنمك.

(٤)الحاكم في المستدرك-نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم(٥٣٦٩/١١)

(٥)صفات متألقة من التاريخ الإسلامي لعبد الله الصلوي.

يقول ابن القيم:ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين ويدنو العبد به من الله سبحانه وتعالى في لحظةٍ واحدة أضعاف مايدنو به من العمل)(١)

بعض المؤشرات والعلامات التي تدل على أن هذا المرض بدأ يتسرب إلى القلب

١) أن يظل الإنسان يدور مع نفسه حيث دارت ، تثور ثائرته من أجل نفسه،

يغضب من أجلها ، يرض من أجلها، يقاطع الناس من أجلها، يقف عند كل شيء يدقق في كل شيء يُكثر معاتبة الناس، يكبّر من حجم خطأ من أخطأ عليه أو تعدى عليه ،يغضب إذا رُدَّ كلامه ، تراه يجادل ويجادل في أي نقاش أو رأي يُطرح ليكون كلامه في نهاية الأمر هو الصواب!!! هذه كلها مؤشرات أن هناك ثمة تعلّق بالنفس وتضخيمٌ واستعظام لشأنها ومن كان في نفسه شيء فهو عند الله لاشيء.

وقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مُسيئاً؟؟ قالت: إذا ظن أنه محسن)(٢) وقد قال يوسف بن الحسين للجنيد(لاأذاقك الله طعم نفسك فإن ذقتها لاتفلح)(٣)

٢) الحب الشديد للمدح والثناء والإطراء ، يبحث عنه، يتشوق له يُحب أن يسمعه، ويحب أن يصدقه حتى لو كان مبالغاً فيه.

قال الماوردي:وللإعجاب أسباب فمن أقوى أسبابه كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين، المدح من أخطر الأبواب على النفس، فإذا ما فُتح أمامها تجد المجال ..لكي تنتفخ وتتعاظم..فهذا الشراب الحلو اللذيذ الذي يسكرها ويجعلها لتعيش في أجواء النشوة والسرور والطرب.

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدفعه عن نفسه وهو رسول الله!!

فيقول (لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)(٣) ،وكان يقول عن نفسه عليه الصلاة والسلام (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)(٤)

صحابته أيضاً كانوا يدفعون المدح عن أنفسهم، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما قيل له: ياخير الناس وابن خير الناس ! فغضب ورد عليهم قائلاً: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبد من عباد الله أرجو الله وأخافه. ثم قال: والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلكوه)(٥)

(١-٢) من كتاب حطم صنمك- لمجدي هلالي.

(٣) البخاري مع الفتح (٦/ ٣٤٤٥)

(٤) السلسلة الصحيحة (٥٤٤). (٥)؟؟؟

فليست العبرة بمدح المادحين وثناء المثنين وإنما العبرة بالخواتيم،، فدفع المدح والهروب منه، وعدم البحث عنه ، والخوف من سماعه كل هذه لطرد هذه الدسيسة وهذه الآفة من القلب.

٣) أيضاً من العلامات حب الاعتراف بالفضل ، والشكر على العمل بأن يكون هذا أصل ثابت عنده، لايقبل المساومة عليه أو التنازل عنه لابد أن يُعترف بمجهود وعمله وأن لايُهمش ولايُقدم ولا يُقدم عليه أحد ولا يُذكر اسمٌ قبل اسمه وكل هذه أيضاً مؤشرات تدل على تضخيم(الأنا)وتضخيم النفس واستعلائها.

لذلك لابد للمؤمن أن يتعاهد قلبه ويتفقده خاصةً وأن هذه القلوب عوالمٌ مغلقةٌ لايعلم مافيها إلا مالكها وهو رب العالمين جل جلاله، وكما قلنا سابقاً لن يصل إلى الله إلا صاحب القلب السليم. الذي سلَمَ من كل آفة ودسيسة وعوفي من كل دخن ومرض

.... فاللهم إنا نسألك قلباً سليماً أواهاً مخبتاً منيباً.....

نعود للحوار الذي دار بين صاحب الجنتين وصاحبه الفقير....

قلنا اغتر هذا الرجل بدنياه وبأمواله وهذا الاغترار كان واضحاً في نبرة كلامه ففي المرة الأولى قال(**أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً**)

وفي الثانية زادت هذه النبرة فقال (**قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً**)لاأتصور ولا أتخيل ولا أظن أنه سيأتي يوم يزول فيه كل هذا النعيم وتتلف كل هذه الزروع والأشجار والأنهار والثمار وتنتهي ... ركن للدنيا اطمأن بها تعلق قلبه بها، تشرب حبها اعتقد أنها لن تزول منه أبداً...

ومن شدة ركونه لها جاءت العبارة الثالثة قوية جداً فقال (**وما أظن الساعة قائمة ولئن رُددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً**)

أنكر الآخرة

وأنكر البعث والحساب

وإن كان هناك آخره مثل ماتقول فسأجد خيراً من هاتين الجنتين.

وهذا يدلك على انقلاب الموازين عنده. وكل من اُبتلي بهذ الدسيسة القلبية (العُجب- الغرور- البطر والكبر) فإنه يفقد توازنه وتنقلب موازينه ويصبح مطموس القلب مطموس البصيرة.

قال محمد بن الحسين بن علي(مادخل قلب امرئ شيءٌ من كِبر قطُّ إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلَّ أو كثر)(١)

فصاحب الجنتين (بنى حظوظ الآخرة على حظوظ الدنيا) طالما أن الله أعطاني وأكرمني ووسع علي في الدنيا فمن المؤكد أنه سيعطيني في الآخرة وهذا يدلك على إنقلاب موازينه وجهله وقلة عقله.

أولاً: حظوظ الآخرة ليس مبنية على حظوظ الدنيا بل هي مبنية على العمل والاجتهاد والبذل والمسارعة والمسابقة (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون)

ومن استقام هنا استقام هناك

ومن اسرع هنا أسرع هناك

ومن أبطأ هنا أبطأ هناك

والجزاء من جنس العمل.

---

(١)إحياء علوم الدين للغزالي نقلاً عن موسوعة نظرة النعيم.

ثانياً:

أن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب فليس كل نعيم في الدنيا دليل على رضا لله وإكرامه لهذا العبد.

بل الغالب أن الله يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه ويحميهم منها ، قال صلى الله عليه وسلم (إن الله ليحمي عبده المؤمن وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه)(١)

كيف يحمي الله عبده من الدنيا؟؟

إما أن يقللها في يديه ويزويها عنه ولايبسُط له فيها

وإما أن يعطيه إياها وينزعها من قلبه فيجعلها صغيرة حقيرة في عينيه لايأبه لها ولايجري خلفها، ولا ينافس ويزاحم عليها وإذا أراد الله أن يفرغ عبده له نزع الدنيا من قلبه، فهو يتعامل معها ولكنه لايتعلق بها(٢)

ثالثاً:

صاحب الجنتين أحسن الظن بالله وهو قد أساء العمل !!! فتوهم أنه ما أوتي هذه النِعم إلا عن جدارة واستحقاق وأنه لو رجع إلى ربه لوجد المزيد من الحفاوة والإكرام والإغداق!! وهذا من الإغترار بالله.

وكما قال ابن الجوزي(إن من الإغترار أن تَسيء فترى إحساناً فتظن أنك قد سومحت وتنسى قوله (ومن يعمل سوءاً يُجزى به)(٣)

....

وبدأ صاحبه الفقير يتكلم ويرد عليه ، تميز هذا الصاحب:

١) أنه كان وفياً فما زال مستمراً في نصح صاحبه ، ولم ييأس منه، وكان أيضاً صادقاً في نصحه فكان ينصحه لمصلحته لا لمصلحة نفسه أو الانتقام لها.

وفي هذا رسالة لكل ناصح (إذا كنت صادقاً في نصحك فسينفع الله بكلامك ولو بعد حين)(٤)

٢) كان قوياً في الحق فواجهه مباشرة.

---

(١)رواه الحاكم-صحيح الترغيب٣/٢٣٨.

(٢) من أراد التوسع في الكلام عن الفتنة في الدنيا فليراجع ملزمة أخلاق حملة القرآن الأدب الرابع للتقلل من لدنيا.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي. (٤) راجع ملزمة وقفات مع سورة لقمان.

٣)لديه رجاحة عقل وفقه فلم ينشغل بالتفاصيل والجزئيات وإنما أخذ أكبر قضية تحتاج إلى نصح عاجل وبدأ فيها، فقال(**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً**) ياصاحبي إن ماتقوله من إنكار الآخرة والبعث هذا كفرٌ صريح وذكَره بأصل خلقته التي يتساوى فيها جميع البشر فمن التراب إلى التراب ليعالج داء الكبر في قلبه، فكأنه يقول له : كيف يتكبر من كان أصله تراب ومنشأه من نطفة!! وبعد أن أنكر عليه بيّن له العقيدة الصحيحة وأعلن عن توحيده وإيمانه(**لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً**) قال صاحب الظلال(هكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيزٌ أمام الجاه والمال وأن ماعند الله خيرٌ من أعراض الحياة)(١)

ثم قال (**ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله**)

كان الأولى بك حين تدخل لمزرعتك وترى نعمة الله عليك وأن الله قد بسط لك في الرزق أن ترد النعمة إلى منعمها وأن تقِر وتعترف أنها ليست بحولك ولا بقوتك وإنما مشيئة الله وفضله وإمداده ومعونته. فكان الأولى بك بدل الكبر والبطر والتباهي والغرور أن تشكر الله حتى يبقيها عليك.

وإن كنت تراني أقل منك مالاً وولداً فأعلم ياصاحبي أن العبرة ليست بالدنيا؟ ولا بما تمتلك من هذه الدنيا وإنما العبرة الحقيقية ماهو وزنك في الآخرة؟ ماهو مقامك عند الله؟ كم تزن أنت عند الله تبارك وتعالى؟

- هناك أناس أوزانهم ثقيلة عند الله عز وجل يقول صلى الله عليه وسلم (إن من أمتي من يُدخل الله بشفاعته أكثر من أهل مضر الجنة).

عمار بن ياسررضي الله عنه قال عنه صلى الله عليه وسلم (إن عمار امتلأ إيمانا حتى مشاشه)(٢) ،والمشاش :هو العظم.

عبد الله بن مسعود حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة يضحكون من دقة ساقيه قال (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد)

زاهر رجلٌ من البادية وكان دميماً ، أتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيعُ متاعه فاحتضنْه من خَلْفِهِ وهولايُبصِرْهُ فكأنه انزعج فقال من هذا ؟ أرسلني ،فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري هذا العبد؟ يمازحه ويداعبه.

فقال زاهر : يارسول الله إذاً والله تجدني كاسداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لكنك عند الله لست بكاسدٍ)أو قال (أنت عند الله غالٍ)(٣)

---

(١) نقلاً عن التفسير الموضوعي صفحة ٣٣٨/٤ ،(٢)الفتح فضائل الصحابة

(٣) أخرجه أحمد وابن حبان والطبراني- نقلاً من كتاب الشمائل المحمدية صفحة ٦١ .

كل هذه أوزان ثقيلة لأناس من البشر ، مالذي ثقلهم ورجح بهم؟؟إنه إيمانهم فالإيمان يُثقل صاحبه ، ويرجح بصاحبه ، ويرفع صاحبه.

والناس يتفاوتون وتتفاوت أوزانهم عند الله على حسب تفاوت الإيمان في قلوبهم فإن من الناس من وزن الإيمان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل، ومنهم من وزن الإيمان في قلبه وزن الذرة ، ووزن الشعيرة.

هذا هو وزنه عند ربه !! ومن كان هذا وزنه فالله لايبالي به في أي أودية الدنيا هلك... والله المستعان.

دعا هذا الرجل الفقير بدعوتين"

- دعا لنفسه أولاً فقال (**فعسى ربي أن يؤتني خيراً من جنتك**) وكان ذا همة عالية في الدعاء لم يطلب من ربه أن يعطيه مثل جنة صاحبه بل طلب خيراً وأفضل منها. وهذا الدعاء يدلك على أن **هذا الرجل يعرف ربه** ،، يعرف أن خزائنه ملأى ويداه مبسوطتان ينفق منها كيف يشاء ،لا يعجزه شيء وهو القائل سبحانه وبحمده (ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ منهم مسألتهُ مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر)

وقد جاء الأثر أن الله يقول (من ذا الذي يطرق بابي فلم أفتح له؟ أبخيلٌ أنا فيُبَخلني عبدي؟ أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي ؟ فما يمنع المؤملين أن يؤملونني)(١)

فكن أيها القارئ الكريم صاحب همة عالية في الدعاء وأسأل ربك خير ماعنده فإن من يعرف الله يظل دائماً يؤمل الله وينتظر عطاياه.....

ثم دعا على مال صاحبه فقال (**ويرسل عليها حسباناً من السماء**) أي يُرسل عليها عذاباً من السماء (صواعق – أمطار- بَرَد- أياً ماكان من المهلكات التي تتلفها إتلافاً وتخربها وتدمرها)

بحيث تصبح هذه الحديقة (**صعيداً زلقاً**) : أرض جرداء قاحلة لانبات فيها ولاشجر ولاثمر قد خيمَّ عليها الخراب وحلَّ بها البوار.

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(**أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً**) يصبح ماؤها بعيداً غائراً في أعماق الأرض فلا تستفيد منه الأشجار.

لوتأملت هذا الرجل دعا بعقوبتين: أحداهما سماوية والأخرى أرضية فأيها أشد؟؟ السماوية شديدة من ناحية أنها مباغتة مفاجئة ،التدمير يتم في لحظات وينتهي كل شيء وهذه العقوبات المفاجئة التي تفجأ الإنسان وقعها شديد على النفس وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها :

(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفُجأة نقمتك وجميع سخطك)

والأرضية أيضاً شديدة : من جهة أنه سيشاهد أشجاره،ونخيله ،وأعنابه ،تموت أمام عينيه وتذبل شيئاً فشيئاً وهو يقف عاجزاً لايستطيع أن يفعل لها شيئاً فكأنه يموت هو بذاته ببطء مع كل شجرة تموت في مزرعته.

- لماذا دعا هذا الرجل على صاحبه؟؟ أليس من الظلم والتجني؟؟

هو لم يدعُ على صاحبه هو دعا على مال صاحبه وهذا يدل على رجاحة عقله وفقهه هو أراد أن ينصلح حال صاحبه وأن لايموت على كفره وضلاله وبطره وكبره وعرف أن هذا المال هو سبب فتنة ، وهو السبب في طغيانه وتمرده وجحوده وكفره وعرف أيضاً أن صاحبه لن يفيق من غمرته إلا إذا جاءت صفعة قوية توقظه وكما يقال: كل ماكان التأديب أقوى كان تأثيره أبلغ.

- هل استجاب الله للدعاء؟ نعم قال تعالى(**وأُحيط بثمره**) وهذه كناية عن الهلاك والدمار الشامل بحيث أتلفه كله ولم يُبقي منه شيء.

خَسرَ كل شيء (**فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها**) أخذ يقلب كفيه تقليب النادم المتحسر الذي ضاع جهده وتعبه وماله ودنياه، وقال(**ياليتني لم أشرك بربي أحداً**) أدركَ أن ما أصابه كان بجريرة شركه وشُؤم معصيته.

إنها ساعة المحاسبة ولحظة المراجعة ، ساعة الحسرة والندم على مافات ، أين ماله الذي ساقه إلى الفخر والتيه؟ أين أهله وعشيرته وخدمه ؟ هل وجَدَ فيهم ما كان يرتجي من العز والمنعة؟؟(٢).

(**ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً**) ماكان له من ينصره ويعصمه من أمر الله لا، انتصر بنفسه ولابماله ولابعشيرته ولايمكن لأحد كائناً من كان أن ينتصر أمام قضاء الله وقدره ، فلاحول ولاقوة إلا بالله.

---

(٢) التفسير الموضوعي (٣٤٠/٤)

- ماهو مصير هذا الرجل هل كان ندمهُ بداية توبة صادقة؟ أم كان مجرد حسرة وندم على ضياع دنياه ؟ وإذا كان الرجل قد تاب توبة نصوحة هل عوضه الله في الدنيا عما سلبهُ منه؟؟؟

يقول السعدي رحمه الله(ولايُستبعد من رحمة الله ولطفه أن صاحب هذه الجنة التي أحيط بها، تحسنت حاله ، ورزقه الله الإنابة إليه ، وراجَعَ رشده ، وذهب تمرده وطغيانه بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه ، وأن الله أذهب عنه مايُطغيه وعاقبه في الدنيا وإذا أرادَ الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا ، وفضل الله لاتُحيط به الأوهام والعقول ولا ينكره إلا ظالمٌ جهول)(١)

ماالذي أراد أن يقوله لنا ابن السعدي باختصار؟؟

أن من تاب تاب الله عليه ، والصادق في توبته سيعوضه الله خيراً مما ذهب منه (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم)

فصاحب الجنتين إن صدق في ندمه وحسرته وأوبته فإن الله سيقبله ويعوضه أفضل من جنتيه وأمواله.

وتصبح هذه العقوبة في حقه رحمة ولطفاً فقد ردته إلى الله، وكانت سبباً في خروجه من طغيانه وكفره ، وسبباً في صلاح قلبه ، والله عز وجل حكيم عليم وله الحكمة البالغة فلا يُقدّر على العباد إلا مافيه صلاحهم ومنفعتهم.

ختم الله هذه القصة بقوله **(هنالك الولاية لله الحق هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً)**

أن من تولاه الله كانت له العقبى الحسنة وأكرمه بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة فهو خيرٌ ثواباً لأوليائه في الدنيا والآخرة ، فالولاية لله تعالى يُعِزُّ من أطاعه ويذل من عصاه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي صفحة ٤٧٧ نقلاً عن التفسير الموضوعي

وقفة مع اسم الله الولي

الولي : هو المتولي لأمر خلقه القائم على تدبير ملكه.

والولاية قسمان

ولاية عامة ولاية خاصة

الولاية العامة ← يدخل فيها جميع الخلق ، وهي تقتضي تصريف المقادير وتدبير أمور الخلق فالله هو الذي يُعطي ويمنع ، ويُعز ويُذل ، ويخفض ويرفع يقدر الأرزاق المقادير.

هذه هي الولاية العامة أي أن الله يتولى أمر عباده بلا منازع ولامضاد

قال تعالى(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يُحي الموتى وهو على كل شيء قدير)(١)

وقوله (وهو الذي يُنزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)(٢)

الولاية الخاصة: ← وهي ولاية عظيمة وتولٍ كريم.

هي ولاية وعصمة وعناية، ولاية نصرة ومحبةً وقُربٍ وكفاية ، ولاية توفيقٍ وتثبيت وحفظ ودفاع.

هذه الولاية لها آثار تظهر على العبد منها:

١)**أن الله إذا تولى عبده أخرجه من الظلمات إلى النور**(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)(٣) فإذا وقع هذا العبد في شيء من ظلمات الجهل والغفلة ونسيان الآخرة ، أو انزلقت قدمه في شيء من أمور الدنيا والمعاصي أو أصابه الفتور والكسل فإن الله لايتركه بل يستدركه وسرعان ماينتشله ويرفعه ويخرجهُ مما وقع فيه أو يرسل له من يوقظه ويأخذ بيده إليه وهذه من ولايته له.

٢)**إذا تولى الله العبد فإنه يدبر أمره ويكفيه كفاية لانظير لها**

ويكفي أن استشهد بقصة الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد المبشرين بالجنة لما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله (يابُني اقضي عني ديني) كم كان دينه ؟؟ ألف ألف ومائتا ألف ، دين كبير لاتفي به أموال الزبير!!

ثم قال له (فإن عجزت عن شيءٍ منه فاستعن عليه بمولاي ، قال عبد الله: يا أبتي من مولاك؟؟ فقال: **الله** ، فيقول عبد الله (والله ماوقعت في كربة من دينه إلا قلت:يا مولى الزبير اقضي دينه فيقضيه عنه)(٤)

(١-٢) سورة الشورى (٣) سورة البقرة.

(٤) الفتح-كتاب المناقب.

طلب ولاية الله فتولاه الله وقضى عنه دينه بل وبارك له في بقية ماله فورثت كل زوجة من زوجاته ألف ألف...

إذا تولاك الله بارك لك وإذا بارك لك فليس لبركته منتهى سبحانه وبحمده.

٣)**إذا تولى الله العبد فإن العناية الربانية تحوطه من كل جانب** ، من فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه وفي صغره وفي كبرهِ.

وتأمل قول الله لموسى عليه السلام (ولِتُصنع على عيني):تتربى على نظري في حفظي وولايتي وحمايتي، رباه تربية خاصة ، ونشأه تنشئةً خاصة

رباه في قصر عدوه دون أن يمسه أحد بأذى ، ألقى الله محبته في القلوب (وألقيت عليك محبةً مني) فلا يراه أحد إلا ويُحبه ، حرّم الله عليه المراضع فلم يقبل ثدي امرأة قط إلا أمهُ !! فرده الله إليها وفرعون هو بنفسه من يدفع أجر الرضاعة ويحتفي بهذه المرضعة!!

عصمهُ الله من الانحرافات والظلم والفساد الذي كان في قصر فرعون ، فما كان ينتقل من مرحلةً إلى مرحلة إلا وعناية الله تحوط به وماهي إلا ولاية الله له.

٤)**إذا تولى الله العبد صرف عنه الوساوس والهواجس والشكوك والنزغات وسّلم له قلبه** وإيمانه وهذه نعمةٌ كبيرة يوم أن يْسلم لك قلبك ، فهذه الوساوس والأفكار والواردات والنزغات تهجم على الإنسان بدون استئذان وربما لايستطيع ردها ولاصرفها في بعض الأحيان ، فيتألم بداخله ، ويضطرب قلبه ويتزلزل فإذا تولاه الله لايلبث أن يصرفها عنه ، ويكشفها عنه، فيحفظ عليه دينه وإيمانه ويربط على قلبه.

وتأمل حين حصلت غزوة أُحد ورجع عبد الله بن أبي زعيم المنافقين بثلث الجيش بعض المؤمنين اضطربت قلوبهم وهم (بنو حارثة وبنو سلمه) وهمَّوا أن يرجعوا ويتركوا الجهاد مع رسول الله والآية تصور لك المشهد (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

هذا الهمْ مكانه في القلب ، شيء خفي لايعلمه الناس ولكن الله مطلع على هذه القلوب ومايدور فيها من الخطرات والنيات والمقاصد والواردات وإذا علم الله من عبده صدقاً تولى أمره وصرفها عن قلبه.

٥)إذا تولى الله العبد عصم جوارحه وأعانه عليها وسخرها له في طاعته.

يقول الله في الحديث القدسي (وماتقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها)(١)

يُعان على السمع فلا يسمع حراماً ، يُعان على البصر فلا ينظر إلى حرام ، ولايخطو خطوة إلى حرام، ولايتعلق قلبه بحرام ولاشبهة ولا شهوة ، يُعطى البركة فيما يكتبه ويصنعه بيده ويقوله بلسانه ويمشي إليه برجله.

بمعنى يُوفق في غدوه ورواحه ، وعمله وقوله، وممشاه ومجيئِه ويُسدد ويُبارك له.

وكل هذه معونة من الله وهذا العون صورة من صور ولاية الله له.

هذه بعض آثار هذه الولاية . وكلما تحقق العبد بالولاية ظهرت أثارها أكثر.

ولايظن أحد أنه سيكون ولي الله وهو لم يتأهل لهذه الولاية.

من هم أولياء الله؟؟

لم يترك الله عز وجل المجال للناس في تعريف من هو الولي ولكن الله عرف به فقال سبحانه (ألا إن أولياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون)

الوصف الأول لهم الإيمان الخالص بالله ، والوصف الثاني تقوى الله عز وجل.

وإذا نظرنا للحديث القدسي السابق (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقربّ إليّ عبدي بشيء...)الحديث.

نخرج أيضاً بوصف ثاني لأولياء الله وهم الذين يتقربون إلى الله بما يقربهم إليه.

قال الحافظ ابن حجر (المراد بولي الله العالِم المواظب على طاعته المخلص في عبادته)(٢)

والباب مفتوح أمام الناس للدخول في ولاية الله عز وجل . والولاية مراتب ودرجات قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)(٣)

---

(١)رواه البخاري - كتاب الرقاق.

(٢) الفتح ١٤/ ١٢٦ نقلاً عن قواعد وفوائد من الأربعين النووية ناظم محمد سلطان.

(٣) فاطر(٣٢)

أولياء الله ينقسمون إلى قسمين

المقتصد　　　　　　　　السابق بالخيرات
(وهم أصحاب اليمين)　　　　(وهم المقربون)

المقتصد ← هو الذي يقتصر على فعل الفرائض والواجبات وترك المحرمات.
حريص على صلاته وزكاته وصيامه وجميع مافرض الله عليهماينقص منها شيء
لكنه لايزيد عليها ، فهو قد يترك المستحبات (النوافل) ويقع ببعض المكروهات.
هذه هي الدرجة الأولى في الولاية (ماتقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه)

السابق بالخيرات ← وهو أعلى من درجة المقتصد
فهو يتقرب إلى الله بأكثر من الفرائض عنده اجتهاد في النوافل وزيادة في الطاعات ، عنده مسابقة ومسارعة.
وليس فقط يترك ماحرمه الله بل يترك حتى المكروهات ويتورع عن المشتبهات ويأخذ دينه بالورع.
فهؤلاء يتولى الله أمرهم بالكامل ويتولى الله معونتهم ولايعني هذا أن المقتصدين أصحاب القسم الأول لايتولاهم الله ، بل هم أولياء الله ويأتيهم العون من الله ولكن ليسوا كالمقربين السابقين بالخيرات ، ليسوا بنفس الدرجة.
إذ أن هناك ربط (بين العون وبين العبادة)
نحن نقرأ في الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين)
العبادةُ حقٌ لله والعون حقٌ للعبد ، فمن قدم حق الله وهو العبادة وقام به وفّى الله له حقه بالمعونة.
فعلى قدر العبادة يأتي العون من الله ، فالإعانة مقيدة بالكثرة والزيادة والإجتهادة.
ولن يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبدٍ ابطأ عنه !! وليس الذي يمشي كالذي يهرول
(ولكُلٍ درجاتٍ مماعملوا)
والغُنم بالغُرم ← فعلى قدر ماتغرم لربك فسوف تغنم
وسوف تُعان وسيتولى الله أمرك بالكامل
نسأل الله من فضله.

هل يُقال للظالم لنفسه أنه من أولياء الله؟؟

الظالم لنفسه هو المفرط الذي وقع فيما حرم الله وترك بعض ما أحب الله.

لايُقال له أنه ولي من أولياء الله ولكنه يدخل في أصل الولاية لافي كمال الولاية وله حظٌ بقدر إيمانه وفوته من الولاية بقدر فجوره ومعصيته والله أعلم.

وقبل أن نختم قصة صاحب الجنتين بقي لنا أن نعرف **كيف المخرج من فتنة الدنيا؟؟**

١) اعلم حقيقة الدنيا وأنها قصيرةٌ زائلة وانظر بماذا عقب الله بعد هذه القصة

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً)

ضرب الله المثل لزوال هذه الدنيا بماءٍ نزل من السماء فروى الأرض وأخرج النبات ليدور دورته المعهودة حتى يحين الحصاد ، فإذا بأوراقه الخضرة النضرة قد ذوْت واصفرت وذبلت ، وسيقانه تساقطت وتحطمت ثم تأتي الرياح فتذرُوه فيصبح وكأنه لم يغن بالأمس.(١)

٢) إذا علمت حقيقتها فلا تغتر بها ولاتنشغل بها وتنافس عليها وتتوه في أوديتها وشعابها وزُخرفها وزينتها بل خفف وطأتك فيها حتى لاتتحول هذه الدنيا إلى شاغل يشغلك وعائق يقطعك عن ربك وعن الآخرة ومن المَسلّم به أن من أحب دنياه ضرَّ بآخرته.

٣) أنت لاتُلام على حُبك الطبيعي للدنيا فهذا أمر قد جُبلنا عليه جميعاً(زُيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب)

ولكن تلام على تعلقك الزائد بها والإنغماس فيها

أحبها بقدر ، وانشغل فيها بقدر، وافرح بها بقدر

تعامل معها وأنت ملجمٌ نفسك بلجام التقوى ، فالذي يتقي لايضيع ولايهلك ولايُفتن.

٤) إذا أنعم الله عليك بشيءٍ من نعيمها فردّه إلى منعمه ومسديه وهو الله جل جلاله

(فما بكم من نعمةٍ فمن الله) واشكره عليها ، هذا الشكر وهذا الاعتراف يُبقي لك النعمة ويزيدها لك ويبارك لك فيها (ولئن شكرتم لأزيدنكم)

---

(١)التفسير الموضوعي (٤/ ٣٤٢)

فتنة

إبليس

فتنة ابليس

قال تعالى (**وإذ قلنا للملائكةِ اسْجُدواْ لآدمَ فسَجدوا إلا إبليسَ كانَ من الجِن ففسقَ عن أمر ربهِ أفتتخذونَهُ وذُريتَهُ أولياءَ مِن دُونِي وهُم لكُم عَدو بِئسَ للظالمين بدلاً، ما أشْهَدتُهُم خَلقَ السمواتِ والأرضِ و لا خلقَ أنفُسِهم وما كُنتُ متَخِذ المُضِلينَ عَضُدَاً**)

- من هو ابليس؟؟

زعيم الشياطين ، هو العدو الأول والأكبر للإنسان ، كفر وتبطر وأبى واستكبر وامتنع عن السجود لآدم حسداً وكبراً وعصياناً وتمرداً وتعصباً لعنصره الناري. (قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين)(الأعراف١٢)

- امتلأ إبليس حقداً وغيظاً لآدم وذريته وأعلن عن عداوته الشديدة لهم فتوعد وتهدد (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم،ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائِلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)(الأعراف١٥-١٧)
- أسلحته كثيرة ، وكيده متنوع ، من وسوسة وهمز ونفخ ونفث وأزّ وحبائل ومصائد وشَرَكْ وخطوات....

  إذاً أنت أمام عدو محترف شديد الإحتراف

  عدو جاهز لأي هجوم

  عدو باطن خفي مستتر لاتعرف متى سيدخل عليك ومتى سيهاجمك ومن أي ثغر سيدخل هل من جهة سمعك أو بصرك أو من جهة قلبك وعقلك.
- ومما يزيد في خطورته أكثر وأكثر أنه له اتباع وسرايا وجنود ، يُعينونه على إفساده وضلاله وغوايته ، يقول صلى الله عليه وسلم (عرش إبليس على البحر يبعث سراياه في كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس)

  وهاهو يرسل سراياه بين الناس فيفسدون ويُحرشون ويوقعون العداوة والخصومة بين الناس ويبثون القطيعة والفرقة بينهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)(١)

هذا التحريش هو من أخطر الثُغور التي يتسلط فيها الشيطان على الناس ويستزل فيه أقدامهم.

وبالمثال يتضح المقال: أحياناً قد يحصل موقف بسيط بيننا وبين شخصٍ ما

والكلمة التي قيلت تكون كلمة بسيطة صغيرة تافهة كان من الممكن أن نعديها ونمررها ونتغاضى عنها ونعمل بوصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه –

ذاك الملهم المُحدَّث حين قال:إذا أتتك الكلمة العوراء فطأطأ لها رأسك تتخطاك)،أو بحكمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تقول آه للتقوى ماتركتْ لصاحبِ غيظٍ من شفاء!!

ولكن هيهات هيهات أنّى لإبليس أن يتركنا وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قعد لابن آدم بأطرقه ، وأنه يحضرْ في كل شأنه.(٢)

فأنى له أن يضيّع هذه الفرصة، وهذا الصيد الثمين ؟؟؟ فماذا يفعل؟

ينفخ في هذه الكلمة بنفخة إبليسية شيطانية فيكبرها وينميّها ويربيها ويضخمها

حتى تصبح هذه الكلمة ساحقة ماحقة جارفة عاصفة، وكأنها طوفان يجرف كل شيء أمامه!! الطيب والخبيث ، الجديد والقديم، والأخضر واليابس،الود والمعروف والجميل فلا يبقي شيئاً!!!

وينفث بنفثه (فين كرامتك، إنت ماعندك شخصية،ماعندك لسان ترد عليهم

طول عمرك وحقك مهضوم، طول عمرك صابرة وساكت

ومطأطأ لهم رأسك ، طول عمرك ضعيفة.......)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

ولايزال ينفخ ويسقي الكلام بماء التحريش ويصب الوساوس على القلب صباً حتى يُقسّي هذا القلب ويحجره ويجفف كل عرق أخضر فيه ،فيقطع الود.

فننسى العشرة

وننسى المعروف

وننسى الخير

وننسى الخير والجميل

وننسى كل شيء ونُنهي كل شيء في لحظات !! ندمر كل شيء في لحظات وهذا الذي يريده الشيطان !!

أن نتدابر ونتقاطع ونتباغض ونتخاصم ونفترق ونصبح شذر مذر

كلاً منا يحمل أطنان في قلبه من الغل والبغض والحقد والضغينة على الآخر.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)(١)

نعم نحن لسنا ملائكة ولا معصومين ، ولاندعي المثالية ، بل يقع منا من مايقع من الغضب والضعف وعدم ضبط النفس والكلمات والمشاعر ، كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر طبائع الناس وأخلاقهم في بعض خطبه فقال (......يكون الرجل سريع الغضب قريب الفيئة فهذه بهذه ، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة فهذه بهذه، فخيرهم بطيء الغضب سريع الفيئة، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيئة) .(٢)

إذاً المتوقع أن يقع منا مثل هذا الخصام لكن على المؤمن أن لايلجٌّ في الخصومة ، ولايغرق فيها ، وأن لايطول الأمد ويتمادى في الهجر والترك والقطيعة ، إياك أن تكون أنت الطرق الطرف العنيد الذي يرفض الصلح ويرفض الاعتذار ، ويرفض البدء .

---

(١)رواه البخاري.

(٢)مسند الإمام أحمد ٣/ ٦١ ، ورواه الترمذي في الفتن وحسنه ، وفي سنده ضعف ولبعض فقراته شواهد، جامع الأصول ١١/ ٨٤٨ نقلاً عن كتاب هذه أخلاقنا لمحمود خزندار.

استمع لهذا الحديث بقلبك وتأمله وتدبره واعرض نفسك وخبايا نفسك عليه

(لايحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليالٍ فإنهما ناكبان عن الحقِّ ماداما على صِرامِهما وأولهما فيئاً يكون سَبْقه بالفَيء كفارةً له، وإن سلّم فلم يقبل وردَّ عليه سلامهُ ردَّت عليه الملائكةُ، وردّ على الآخر الشيطان ، فإن ماتا على صِرامهما ، لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً)(١)

ردد العبارة (وأولهما فيئاً يكون سبقُه بالفيء كفارة له)

من يبدأ بالصلح والرجعة يكون هذا البدء كفارة للهجر والقطيعة التي حصلت وهذا مخرج عظيم لمن خاف على حسناته أن تضيع ، ولمن خاف أن يكون مفلساً في ذلك اليوم الذي ليس فيه إلا حسنات وسيئات وربحٌ وخسارة والنبي صلى الله عليه وسلم بيّن لنا إن هذه الضغائن والأحقاد والصدور التي تغلي والنفسيات الممتلئة والعبوات الجاهزة للإنفجار في دواخلنا لايكون نتيجتها إلا فساد ذات البين وهي الحالقة قال لاأقول الحالقة تحلق الشعر ولكن تحلق الدين!!!

- فاحذر ثم احذر من هذا العدو ومن خطواته وحبائله وفخوخه
وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه إن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان متى تأتيه ومن أين تأتيه.
- استعذ بالله منه ، فلا يستطيع صرف كيده عنك إلا الله والزم :
(قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنةِ والناس)
(رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك ربي أن يحضرون)
(أعوذ بكلمات الله التامات من الشيطان وهمزه ونفخه ونفثه)
وغيرها من صيغ الاستعاذة فإن من استعاذ بالله أعاذه.
- تحصّن بذكر الله عموماً فإن الشيطان واضعٌ خطمه على قلب آبن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه-زاد المسير-
(والذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

أعاذني الله وإياكم من الشيطان الرجيم ومن همزاته ونفخه
ومن أراد الاستزادة فليراجع ملزمة (الإخلاص والمعوذتين)

فقد توسعنا في الكلام عن الشيطان وخطواته وطرقه.

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٠/٣)

قصة

موسى

والخَضِر

قصة موسى والخَضِر

بدأت القصة بعهد أخذه موسى عليه الصلاة والسلام على نفسه (**وإذ قال موسى لفتاه لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً**)

أنا سأظل مسافراً ، ماشياً على قدمي لاأنقطع عن السفر ، مهما طالت المسافة ومهما لحقتني المشقة ولو سرتُ سيراً طويلاً حقباً من الزمن والحقب قيل ٧٠ سنة ، وقيل ٨٠ سنة ، حتى أصل لمجمع البحرين.

السؤال الآن : لماذا أخذ موسى هذا العهد على نفسه؟

موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل ذات يوم ، فخطب فيهم خطبة بليغة مؤثرة ، ذرفت منها دموعهم وخشعت لها قلوبهم ، فقام رجل من بني إسرائيل فقل : يارسول الله هل في الأرض أعلمُ منك؟؟ فقال موسى عليه السلام : لا ، فعتب الله عليه إذْ لم يردَّ العلم إليه.

فأوحى إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين(١) هو أعلم منك...)(٢)

وقد جعل الله له علامة يعرف بها أنه وصل لمكانه ، والعلامة كما جاءت في الحديث.

(قال موسى : إيْ ربِّ كيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مِكْتل ، فحيثُ تفقد الحوت فهو ثَمَّ)

خرج موسى وأخذ معه فتاه (يوشع بن نون) وجعل الحوت في مكتل وانطلق يبحث عن هذا الرجل ليتعلم منه ويستزيد من العلم لذلك أخذ هذا العهد على نفسه

- وأول مانستفيده من هذا المقطع من القصة :

أن البدايات تحتاج إلى عزيمة صادقة ، ومن أخذ أمره بالعزيمة الصادقة فإنه يدرك مقصوده بإذن الله .

---

(١) مجمع البحرين: أقرب الأقوال إلى الصواب ، هو اجتماع خليج السويس مع خليج العقبة.

(٢) البخاري في كتاب التفسير – حديث ٤٧٧٢.

تأمل في موسى عليه السلام رغم أنه نبي وهو من أعظم أنبياء بني إسرائيل وهو المعلم لهم وعليه أنزلت التوراة إلاّ أن هذا كله لم يمنعه من الخروج لطلب العلم والاستزادة منه.

أخذ أمره بالعزيمة الصادقة وانطلق والخير كله مع العزيمة الصادقة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه بهذه العزيمة الصادقة(اللهم إني أسالك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد)

- وصلا عند صخرة ، نام موسى عليه السلام ، مالذي حصل للحوت؟؟

(فاضطرب الحوت في المكْتِل ، حتى خرج من المكتِل فسقط في البحر ، قال : وأمسك الله عنه جرْيَة الماء ، حتى كان مثل الطاق فكان للحوت سرباً)

حوت ميت بأمر الله دبت في ه الحياة ، فقفز للبحر ، وأبقى الله أثر جريه في الماء فلا يمحو أثر جريانه ماء البحر.

- استيقظ موسى عليه السلام وواصل سيره مع فتاه ونسي فتاه أن يخبره بما حصل للحوت لما شعر موسى بالتعب والنصب طلب من فتاه الغداء عندها أخبره بما حصل للحوت وقال معتذراً (**أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيهُ إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً**)
- لما سمع موسى هذا الكلام من فتاه كانت هذه هي العلامة التي ينتظرها (**فارتدا على آثارهما قصصاً**) كانا يتتبعان آثارهما على الرمل حتى أتيا الصخرة فرأى عندها رجلٌ مُسجَىّ عليه بثوب، فسلّم عليه موسى فقال له الخَضِر : أنّىَ بأرضك السلام؟ قال : أنا موسى . قال:موسى بني إسرائيل؟
قال : نعم .
لماذا سُميَّ هذا الرجل بالخَضِر؟؟
جاء في مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أنه (إذا جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)
الفروة البيضاء : الحشيش اليابس إذا جلس عليه فإذا هو ينقلب زرعاً أخضراً فُسمي بالخَضِر.

وصفه الله بثلاث صفات :

(فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً)

١) وصفه الله بالعبودية وهي من أشرف وأعلى المقامات وفي هذا إشارة أنه قد تمُيّزَ باجتهاده في العبادة ، وهذه صفة أساسية من صفات أهل العلم يكون الجانب التعبدي عنده قوي ويكون له حظ ونصيب كبير من العبادة فهذه ثمرة العلم ، الله عز وجل لما مدح صحابة رسول الله بماذا مدحهم؟؟

أنَّ أثر عبادتهم وتنسكهم وصلاتهم قد ظهر عليهم.(١)

(محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)محمد(٢٩)

٢) (**آتيناه رحمةً من عندنا**) وصفه الله بالرحمة، والرحمة خُلق إذا منَّ الله به على الإنسان فقد أراد أن يرحمه ، وقد يفتح له طريق الرحمة (فالراحمون يرحمهم الرحمن) والإنسان لايشقى بشيء مثل شقائه بنزع الرحمة من قلبه رحمتك بمن حولك بالقريب والبعيد والصغير والكبير هذا من أكثر ماتستدر به وتستمطر به رحمة الله بك.

فكلما رحمت ستُرحم والجزاء من جنس العمل.

٣) (**وعلمناه من لدنا علماً**) خصّه الله بالعلم وهذا العلم ليس من ذات نفسه بل هو علم علّمهُ الله إياه. وفي قوله (من لدّنا)تفخيم لشأن ذلك العلم وتعظيماً له وبيانٌ لخصوصيته واختصاصه به.

إذاً وصفه الله بالعبادة وحلاه بالرحمة وكملّه بالعلم.

- طلب موسى من الخضرطلباً(**هل اتبعك على أن تعلمني مما علّمتَ رشداَ**) جاءه بصيغة الالتماس وكلّمهُ بمنتهى التواضع والتلطف والأدب ، لابصيغة الترفع والاستعلاء، بالرغم من أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر فموسى نبي ، ومن أُولي العزم من الرسل، وهو كليم الله ومع ذلك تكلم مع الخضر بغاية الأدب وهذا هو أدب التلميذ مع معلمه.

---

(١) راجع ملزمة أخلاق حملة القرآن.

وكما يُقال (الأدب يفتح لك الطريق) وقد أجمع أهل العلم على تقديم الأدب قبل العلم وأنه كلما تحلّى طالب العلم بالأدب زاد أخذه للعلم. ومن كمل أدبهُ في الطلب كمل تحصيله في العلم.(١)

بيّن له الخضر أن الرحلة معه ومتابعته تحتاج إلى صبر وأناة، ففيها من المفاجآت والعجائب ماقد يُخرجه عن حدَّ الصبر.(٢)

(قال انك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً)

- لكن موسى عليه السلام كان ذا عزيمة صادقة فأصر على متابعته مستعيناً بالله مؤملاً أن يلهمه الصبر والثبات.

(قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً)

- اشترط عليه الخضر شرطاً(**قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً**)

لاتعترض علي في أي تصرف ولاتفاتحني بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك وافق موسى على الشرط.

انطلقا ، وبدأت رحلتهما.

أعني مسير موسى مع الخضر وبدأت القصة بأحداثها وغرائبها وعجائبها.

---

(١) راجع ملزمة أخلاق حملة القرآن (تكلمنا عن هذا الموضوع بتوسع).

(٢) التفسير الموضوعي(٤/ ٣٧٠)

١) خرق السفينة

(فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمراً)

انطلقا يمشيان على ساحل البحر، مرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخَضِر فحملوهما بدون أجرة إكراما لهما.

لما ركبا السفينة تفاجأ موسى أن الخضر نزع لوحاً من ألواح السفينة !! فتعجب أشد العجب!! وأخذته الغيرة في إنكار المنكر ، وظن أن فعل الخضر هذا مقابلة لإحسانهم بالإساءة لذلك قال له (**لقد جئت شيئاً إمراً**) عجيباً غاية العجب.

- ذكّره الخضر بالشرط (**قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً**)

فاعتذر موسى مباشرة (**قال لاتؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عُسراً**)

٢) قتل الغلام

(**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ، قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً**) بعد أن غادرا السفينة لقيا غلاماً يلعب مع الغلمان وقيل : أنه كان أجملهم وأحسنهم فأخذه الخضر من بينهم فقتله.

غضِبً موسى أشد الغضب وأنكر على الخضر إنكارا شديداً قائلاً (**لقد جئت شيئاً نُكراً**) فظيعاً منكراً ظاهر النكارة ، تستعظمه النفوس وتأباه ، أن تتعمد قتل نفس زكية طاهرة لم تُذنب ولم تُخطئ بل هي بريئة لم تُجرم ، فقال له الخضر للمرة الثانية (**ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً**)

وزاد فيها لفظ (**لك**) لأن سبب العتاب أشد، وموجبه أقوى ، وقيل : لقصد التأكيد كما تقول لمن توبخه : لك أقول وإياك أعني.(١)

بادر موسى بالاعتذار وقال (**إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني**): أي لاتجعلني صاحباً لك . (**قد بلغت من لدني عذراً**) فقد أعذرتني المرة بعد المرة.

---

(١) التفسير الموضوعي(٤/ ٣٧٢)

٣) إقامة الجدار في قرية اللئام!

قال تعالى (**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضيفوهما فوجدا فيها جداراً يُريد أن ينقض فأقامه ، قال لوشئت لاتخذت عليه أجراً**)

انطلقا حتى آتيا قرية أهلها أشحة لِئام ، أبوا أن يُضيفوهما ، مع ماعندهم من خير وسعة. رأى الخضر في هذه القرية جداراً مائلاً يوشك أن يسقط فانصرف إلى إقامته قبل أن ينقض . وهذا إحسان فريد ، أن تحسن إلى من أساء إليك

وهي درجة عالية في الإحسان ولا يقدر عليها كل أحد !! وصدق الله (وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظٌ عظيم)

- تعجب موسى من صنيع الخضر وقال (**لوشئت لتخذت عليه أجراً**).

فأجابه الخضر بقوله (**هذا فراق بيني وبينك سأُنبك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً**) لقد حانت ساعة الفراق ليمضي كلٌ إلى حال سبيله ولكن قبل المفارقة لابد من المكاشفة.(١)

المكاشفة قبل المفارقة:-

(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاتة وأقرب رحماً، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشُدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك،وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً)

السفينة ؟ كانت مُلكاً لمساكين يعملون في البحر يعملون عليها، بمعنى أنها مصدر رزقهم يؤجرونها ينقلون الناس والبضائع عليها ، وكان عندهم ملك ظالمٌ غاصبٌ

يأخذ كل سفينة صالحة لاعيب فيها فيستولي عليها وتصبح في ملكه!! أما إذا كانت معيبة فإنه يتركها لعيبها لذلك قمت بنزع اللوح من السفينة حتى يتركها هذا الملك الظالم لهم. ومن ثم يقومون هم بإصلاحها وتظل سفينتهم معهم وينتفعون بها.

---

(١) التفسير الموضوعي.

الغلام؟

أما الغلام الذي رأيتني بادرت بقتله فقد طُبع على الكفر ، بمعنى : أنه سبق في علم الله وقدره أنه سيكون هذا الغلام كافراً لن يؤمن ولن يهتدي ، وأبواه مؤمنين صالحين.

قال صلى الله عليه وسلم(إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً، ولوعاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً)(١).

فلو كبر هذا الغلام لأصبح فتنة لوالديه فقد يحملهم حبهما له أن يوافقوه ويتابعوه على كفره ، فأراد الله أن يبدلهم بإبن هو خير لهم من هذا الابن الكافر.

قال قتادة(قد فرح به أبواه حين وُلد ، وحزنا عليه حين قُتل ، ولو بقي لكان فيه هلاكهما . فليرض امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من قضائه فيما يُحب)(٢)

وقد صح في الحديث (لايقضي الله للمؤمن من قضاءٍ إلا كان خيراً له)(٣)

ولننظر ولنتأمل في حياتنا.....

كم من أقدار نزلت علينا وتقلّبنا فيها ، فقدنا فيها مافقدنا ، وتألمنا حزنا بكينا ولكن

لو كُشف لنا الغيب لسجدنا لله شكراً على اختيارالله لنا وعلى قضائه وقدره فالله عز وجل حكيمٌ في أفعاله لايُقدِر على العبد إلا مافيه منفعته ومصلحته وماهو خيرٌ له. وما من قدر ينزل علينا إلا وفيه لطف الله فقدر الله لاينفك عن لطفه ، ولطف الله لاينفك عن قدره عِلمِهُ من علِمهُ وجهلهُ من جهلهُ.

ولو أننا رضينا بأقدار الله وأفعال الله فينا لرضانا الله وجبر قلوبنا!!

(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون)

الجدار؟

الجدار كان تحته كنز لغلامين يتيمين في المدينة ، ولو تركته ولم أقيمه لسقط وانتقض وتسلّط أهل هذه القرية على كنز هذين اليتيمن فأقمته حتى إذا بلغا أشدهما استخرجا كنزهما.

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة(حديث ١٧٢)نقلاً عن التفسير الموضوعي

(٢) المصباح المنير سورة الكهف صفحة ٨١٢

(٣)رواه أحمد(١١٧/٣) نقلاً عن المصباح المنير.

وفي هذا دليل أن الرجل يُحفظ في ذريته ، وأن صلاح الآباء ينفع الأبناء .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: حُفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً)(١)

وهذا من حفظ الله لأوليائه ، فأعظم مايدخره الآباء لأبنائهم أن يكونوا صالحين هم أنفسهم.

(ومافعلتُهُ عن أمري) أي مافعلت مارأيته من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ليس عن اجتهاد مني ورأي وإنما فعلته بأمر الله.

(ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً) فهذا هو تفسير وبيان مالم تطق أن تصبر عليه

المخرج من فتنة العلم:-

جاءت قصة موسى والخضر لتبين لنا أهمية العلم النافع ، وبركة إتباع العلماء وأثر الصحبة المباركة.

ومن تتبعك للحوار الذي دار بين موسى والخضر تعلم أن العلم يحتاج إلى صبر ومكابدة وتحمل ولن تستطيع أن تطلب العلم إلا إذا صبرت.

صبرت على مشقة العلم من حفظ ومذاكرة ومراجعة وبحث وكتابة ، صبرت على العوائق والصوارف والشواغل التي تعترضك في طريق العلم وصبرت أيضاً على الأدب مع معلمك وعلى الأدب وحسن التعامل مع أقرانك ، عندها تنال العلم ، والعلم لايعدله شيء لمن حسُنت نيته كما قال الإمام أحمد.

"راجع ملزمة أخلاق حملة القرآن"

---

(١) المصباح المنير.

قصة

ذي القرنين

القصة الأخيرة التي تعرضها لنا سورة الكهف قصة ذو القرنين الرجل الصالح الملك العادل ،القائد المظفر ، السلطان القوي الذي ملأ الدنيا عدلاً وقسطاً ونوراً وفضيلة .

بدأت هذه القصة بقوله :(**ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً)** فجاءت جواباً عن سؤال كفار قريش حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طواف بلغ المشارق والمغارب. (**إنَّا مكنَّا له في الأرض**) مكّن الله له في الأرض ، فجعل ملكه قوياً ثابتاً لايطمع أحد في إزاحته أو التغلّب عليه ، دانت له العرب والعجم ، والمشارق والمغارب والأرضي والبلاد، هذا التمكين لم يأتيه من قبل دول أو هيئات أو مخلوقين وإنما هو مّكن له من عند الله وتمكين الله فوق كل تمكين ، فإذاً لاتسأل عن قوة هذا الملِك في ملكِه ودولته وسلطانه.

- (**وآتيناه من كل شيءٍ سبباً**) هيأ الله له جميع الأسباب التي يكون بها ثبات ملكه وبسط سلطانه وكبت أعدائه وتحقيق مراده ، من جنود وجيوش وعقول وأموال وعدة وعتاد.
- (**فأتبع سبباً**) ذو القرنين كان موفقاً مسدداً راجح العقل لم يهدر الطاقات والإمكانات والأسباب التي أعطيت له، بل أخذ بالأسباب واستغلها في النهوض بمملكته وزيادة فتوحاته وعمرانه وتحقيق أهدافه وطموحاته في الدعوة والإصلاح وإقامة العدل ورفع الظلم ونصرة المستضعفين.
- **وكل من أراد أن يطلب مجداً لابد أن يأخذ بالأسباب**

لايمكن أن ينال الفضائل من لايعمل لها ، ولايضحي من أجلها ، يريد ويريد ويريد وهو جالس في مكانه لم يحرك ساكناً !!! هيهات هيهات هذه أحلام ، هذه أماني ، هذه بضاعة المفاليس ، إنها البحر الذي لاساحل له.

الفضائل والطموح والمجد والإنجاز هذه أمور لها ثمن ، لن تنالها إلا إذا دفعت ثمنها ، والغُنمُ بالغرم ، ولولا المشقة لساد الناس كلهم!!

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بيّن لنا منهجاً واضحاً بقوله (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف-وفي كلٌ خير-احرص علىماينفعك واستعن بالله ولاتعجز)(١)

---

(١) يحتاج خريج.

تأمل العبارة : احرص على ماينفعك- ولاتعجز
انهض بنفسك ، لاتكن عاجزاً بارداً فاتراً خاملاً ، لاتكن صغير الهمة فيك من الضعف والخور والسلبية والتماوت مايُدخل النوم على من أمامك!!!

- ثمة أناس يجلبون لك النوم من مجرد الحديث معهم فضلاً عن العمل-
لاترض لنفسك أن تعيش في هذه الدنيا صفراً وتخرج منها صفراً معدوداً من سقط المتاع.

فلا خير للمرء في حياةٍ   إذا عُدَّ من سقط المتاع

أعمل بوصية رسولك صلى الله عليه وسلم ، احرص على ماينفعك ، واستفد مما وهبك الله ومنحك من الأسباب والقدرات والطاقات وما منا من أحد إذا فتش في نفسه إلا وسيجد أن الله أعطاه وأكرمه ووهبه وهيأ له الأسباب،لكن تبقى قضية الأخذ بهذه الأسباب هي القضية التي يتفاوت فيها الناس وتتفاوت فيها الهمم والعزائم فمنا المسرع ومنا المبطئ ، ومنا المتقدم ومنا المتأخر ومنا الصادق ومنا المتمني وقد علم كل أناسً مشربهم.

- ذو القرنين أخذ بالأسباب وانطلق يطوف في مشارق الأرض ومغاربها أخبرنا الله **عن ثلاث رحلات قام بها.**
- الرحلة إلى المغرب قال تعالى (**حَتَى إذا بَلَغَ مغْرِبَ الشَّمْس وجدها تَغْرُب فِي عَينٍ حَمِئةٍ وَوَجدَ عِندَهَا قوْماً قُلنا ياذا الْقَرنينِ إمَّا أن تُعذِب وإمَّا أن تتخِذ فِيهُم حُسْناً**) بلغ بجنوده إلى أقصة الغرب مستعيناً بما هيأه الله له من الأسباب، حتى شاهد غروب الشمس وهي تغرب في عين حمئة: أي عين ماء حارة ، ذات طين أسود وهذه المشاهدة هي إدراك بصر لاحقيقة فالشمس لاتغرب في الماء، ومن المعروف أن الإنسان إذا كان واقفاً في صحراء فإنه يرى الشمس تغرب وكأنها تسقط في الرمل وإذا كان عند البحر يرى أنها تسقط في البحر عند غروبها، وهكذا فهو شاهد الشمس أثناء غروبها وكأنها تسقط في عين الماء هذه.
- القوم الذين وجدهم في هذه الرحلة لم يعطينا الله لهم وصفاً محدداً، وإنما المستنتج من تقديم العذاب على الثواب في الآية أنهم قوم غلب عليهم الفساد والكفر والظلم، فلما وصل إليهم وتمّكن منهم وبسط نفوذه عليهم جعل الله الاختيار له(**قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا،**)وفي تخير ذي القرنين بين أن يعذبهم وبين أن يتخذ فيهم حسناً مايدل أن هذا الرجل قد رُزق العدل ، وأنه كان ملكاً صالحاً عادلاً مقسطاً ، ومن رُزق العدل فقد رُزق خيراً عظيماً.

- كما يقول ابن حزم رحمه الله (وأفضل نعم الله على المرء أن يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وإيثاره)(١).

وأهل العدل في الدنيا رفع الله شأنهم في الآخرة جاء في الحديث (إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل – وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهلِيهم وماوُلُوا)(٢) وجعل في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله (إمامٌ عادل) (٣)

كما جعل الإمام العادل من الثلاثة الذين لاترد دعوتهم (ثلاثة لايرُد الله دعاءهم الذاكر الله كثيراً والمظلوم والإمام المقسط)(٤)

والعدل مطلوب من الجميع سواء كبرت الولاية أم صغُرت ، فالنداء أتى للمؤمنين عامة (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله...)النساء(١٣٥)

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُربى)(اعدلوا هو أقرب للتقوى)

وقال صلى الله عليه وسلم (مامن رجل يلي أمر عشيرةٍ فما فوق إلا أتى الله عز وجل مغلولاً يوم القيامة يده إلى عُنقِه فكّهُ بّرُهُ أو أوْبقَهُ إثمُه)(٥)

- ذو القرنين تعامل مع هؤلاء القوم بسياسة العقاب والثواب ، فحكم على من بقي منهم على ظلمِهِ وفساده بالعذاب. أما من اختار طريق الهداية والإيمان فله منّا الخير والإحسان واليسر والسماحة ، وهذه السياسة سياسة العدل والإنصاف حين يجد المحسن جزاء إحسانه جزاء حسناً ، ومكاناً كريماً وعوناً وتيسيراً ، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانةً وجفوة عندئذٍ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والاستقامة والجد والاجتهاد. (٦)

---

(١) موسوعة نضرة النعيم- العدل-

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإمارة- الحديث ١٨٢٧-نقلاً عن كتاب أخلاقنا لمحمود خزندار.

(٣) صحيح الجامع برقم ٣٦٠٣.

(٤) صحيح الجامع برقم٣٠٦٤ .

(٥) رواه الطبراني وأحمد في مسنده.

(٦) التفسير الموضوعي٣٨٥/٤.

الرحلة إلى أقصى الشرق

بعد رحلة ناجحة بلغ فيها ذو القرنين أقصى الغرب ، سلك طريقاً آخر إلى أقصى الشرق أخذ بما يسره الله له من الأسباب.

(حَتَّى إِذا بَلَغَ مطلِعَ الشمس وجَدَها تطلُع على قومٍ لم نجعل لهم من دُونِها سِتراً، كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبراً، ثُمَّ أَتبعَ سبباً)

لما وصل ذو القرنين إلى أقصى الشرق وجد الشمس تطلع على قومٍ ليس لهم مايسترهم لامن البيوت ولا من اللباس ، بل هم حفاة عراة لايأوون إلى شيء من العمارة وكأنهم في أرض منبسطة لا أشجار فيها ولا عمران ، وهذا يعني أنهم أناس بسطاء جداً ، بدائيون ، قد خلوا من جميع مظاهر التمدّن والُرقيّ ولابدّ أنه رحمه الله- قد حمل مشاعل النور وراية الإصلاح- وارتقى بتلك البلاد ونهض بها وألحقها بركب الحضارة ، فرسالته كانت رسالة تنوير وتحرير ورسالة إصلاح وتعمير ونهوض وتطوير.(١)

الرحلة الثالثة

(حتى إذا بلَغَ بين السدَّينِ وجَدَ من دونهما قوماً لايكادُونَ يفقهون قوْلاً،قالوا ياذا القرنين إنَّ يأْجوجَ ومأْجوجَ مُفسدونَ في الأرضِ فهَلْ نجعلُ لكَ خرجاً على أنَّ تجعلَ بيننا وبينهم سداً، قال مامكَّني فِيهِ ربي خيرٌ فأعينوني بِقوةٍ أَجْعَلْ بيْنكُم وبينهم ردماً ، ءاتُوني زبرَ الحدِيدِ حتى إذا ساوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انفُخُوا حتى إذا جعلَهُ ناراً قالَ ءاتُوني أفرِغْ عليهِ قِطراً، فما اسطاعواْ أن يَظْهروهُ وما استطاعواْ لهُ نقباً،قال هذا رحمةٌ من ربي فإذا جاءَ وعدُ ربي جعلَهُ دكاءً وكان وعدُ ربي حقاً)

وصل إلى منطقة يحيط بها جبلان شاهقان وعِران ووجد بالقرب منهما قوماً لغتهم غير لغته ولسانهم غير لسانه أي أن هناك صعوبة في الحوار معهم ، ولكنه تمكن من محاورتهم وفهمهم ومعرفة مطالبهم بفضل ما وهبه الله من أسباب ، فربما استعان بمترجمين يفهمون لغتهم ، اشتكى هؤلاء من قوم مفسدين يجاورونهم وهم يأجوج ومأجوج ، يتسللون إلى بلادهم وينهبون ثرواتهم ويعيثون فساداً في أرضهم فطلبوا منه أن يحميهم من أولئك المعتدين واقترحوا عليه أن يبني لهم سداً يمنعهم الوصول إليهم .

---

(١) التفسير الموضوعي.

وتأمل كيف طلبوا من ذي القرنين هذا الطلب!!

(قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً)

عرضهم هذا وكلامهم يدل على بساطة تفكيرهم ، وقلة فطنتهم إذ كيف يعرضون عليه أن يعطوه أجرة من أموالهم على بنائه للسد وهم يرون جيشه وجنوده وحاشيته وما أعطاه الله من هذا الملك العظيم؟!

ثم تأمل أيضاً كيف رد عليهم لتعرف أخلاق الكبار ، أخلاق الملوك وأخلاق المتواضعين ، قال (**مامكني فيه ربي خير**) بكل أدب وتواضع ولطف بيّن لهم أنه في نعمةٍ وخير وتمكين من ربه ولكنه يريد فقط أن يعينوه في عملية البناء والعمل.

وطلبه للإعانة فيه فائدةً لهم أراد أن يشركهم في العمل ، فكأنه يقول هذا السد لكم وهذا العدو عدوكم وأنتم المتضررين فيه ، فليس من الحكمة أن نبني لكم نحن السد بدون مشاركة منكم، اتعبوا معنا في بنائه حتى تشعروا بقيمة هذا العمل وهذا الجهد المبذول وهذا أسلوب مهم من أساليب التربية ألا وهو (المشاركة في العمل) حتى تعود من أمامك على تحمل المسؤولية ، وطرد الكسل وعدم الإتكالية على الغير.

- وملخص تربوي آخر نستفيده أن ذو القرنين لم يهمش هؤلاء القوم الذين ظهر له من خلال طلبهم وعرضهم للأجرة عليه أنهم ضعاف العقول قليلي الفطنة ومع ذلك لم يخسرهم بل استفاد منهم كأيدي عاملة في النقل والبناء والتقطيع والحمل وهذه أمور لاتحتاج إلى ذكاء وفطنة وإنما تحتاج إلى بدن وقوة، وهذا قانون واسع في الحياة (بأن كل شيء إذا همشته خسرته) وذو القرنين كان ذا حنكةٍ ورجاحة عقل فلم يهمشهم ولم يخسرهم وإنما استفاد منهم.
- **كيف تمت عملية البناء؟؟**

البناء تم في مراحل وهذا ظاهر من الآيات، فكأن المرحلة الأولى**(آتوني زبر الحديد)** هناك حديد جُلِب وقُطِّع حتى يصبح لبِنات لهذا السد الذي سيبنيه.

المرحلة الثانية**(حتى إذا ساوى بين الصدفين)**قطع الحديد هذه بدأت تُرص بين الجبلين بطريقة منظمة بعضها فوق بعض حتى وصلوا لقمة ونهاية الجبلين.

المرحلة الثالثة(قال أنفخوا) أي أن هناك ناراً أُوقدت تحت قطع الحديد هذه وأخذوا ينفخون النار ويشعلونها حتى أصبح هذا الحديد قطع نار حمراء.

المرحلة الرابعة**(آتوني أُفرغ عليه قِطراً)** قطراً: هو النحاس السائل، وهذا لايمكن إلا أن يُصهر هذا النحاس ويُذاب إذاً أيضاً هناك ناراً أُوقدت حتى يُصهر فيها هذا النحاس ولاشك أن هذا النحاس يحتاج إلى أوعية كبيرة يفرغوه فيها ويحتاج أيضاً إلى رجال يحملون هذه الأوعية وينقلونها ويفرغونها على الحديد.

إذا تصورت هذه المراحل ترى أنك أمام عملية بناء شاقة مجهدة بالفعل تحتاج إلى أيدي عاملة لتعرف رجاحة عقل ذي القرنين حين قال (**فأعينوني بقوة**)

- يُصّب النحاس على الحديد ، فتخلل النحاس في الفتحات التي تكون بين قطع الحديد فتشابك الحديد والتصق مع بعضه وهذا يضاعف مقاومته وصلابته. فكيف تتوقع أن يكون هذا البناء؟؟؟ بناء قوي جداً يردم العدو ردماً، كما أنه أملس لايستطيعون تسلّقه ولايستطيعون نقبه من أسفله لسمكه وصلابته.
- وبعد أن تم البناء بإحكام وإتقان ماهو موقف (ذو القرنين)؟؟

ذو القرنين ملِك والمُلك وحده له نشوة النفس ،واجتمع مع المُلك نشوة الإنجاز وتحقيق الهدف والوصول للمراد وهذه تُوجِد شيء من العظمة والإعجاب والتعالي في النفس فيأتي التواضع الذي لايقوى عليه إلا الصالحون من الناس ،، الذين ألجموا أنفسهم وعلموا أنه لولا توفيق الله وإعانته ومدده ما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً.

(قال هذا رحمةٌ من ربي)

لولا أن الله ساقني إليكم واحَصَلَ هذا البناء ، لولا أن الله ألهمكم أن تسألوني بناء السد لما بنيته لكم ، ولولا أن الله ألهمني وهداني لهذه الطريقة في البناء لما اهتديت فكل هذا رحمة ٌمن ربي... هذا الاعتراف من ذي القرنين هو شكرٌ لله ، هو توحيد وعبودية وردٌ للنعمة إلا منعمها ، هو تجاوزٌ لفتنة المنصب والملك والسلطة فما انزلقت قدمه في هذه الفتنة.

- **المخرج من فتنة المُلك**
- لن تتجاوز فتنة السلطة والملك إلا إذا حققت العدل والقسط، ولن تحقق العدل إلا إذا تضاءلت أمام نفسك وتلاشت عظمتك أمام نفسك وعلمت أن الله وحده هو مسبب الأسباب وهو الذي ساقها إليك وهيأها لك ، ومكنك منها فإياك أن يأخذك البطر والأشر والزهو فتظلم عباد الله وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن حقاً على الله أن لايرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه)(١)

.اتق الله في هذا المنصب الذي أُعطي لك، ووظفه لله تعالى ، اخدم به عباد الله ، وكن مباركاً على كل من ترأسهم كما فعل ذو القرنين(٢)

---

(١)البخاري- الفتح٦٥٠١١/١١ .

(٢) انظر في الهدايات المستنبطة من قصة ذي القرنين في موسوعة التفسير الموضوعي.

- **من سيهدم هذا السد؟؟**(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم حتى إذا كادوا أن يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداَ، فيعودون إليه كأشد ماكان ، حتى إذا بلغت مُدّتُهُم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يَرْون شُعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غد إن شاء الله ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئتِهِ حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيُنشفون المياه ويتحصّن الناسُ منهم في حُصُونهم فيرْمون بسهامِهِم إلى السماء فترجع وعليها الدم فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائِهِم فيقتلُهُم بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمدٍ بيدهِ إن دوابَّ الأرض لتسمْنّ شكراً من لحومهم ودِمائِهِم)(٢)

مسك الختام:

- زفت لنا خاتمة السورة الكريمة بشرى لأهل الإيمان الذين عصمهم الله من رياح الفتن فاستحقوا الفوز بأعالي الجنان والخلود فيها(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لايبغون عنها حولاً)..سيتنعمون فيها لايملُّون ولايُفترُون ولايتحولون عنها، وقد جاء في الحديث الصحيح قول نبينا عليه الصلاة والسلام(...فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراهُ فوق العرش ومنه تفجرَّ أنهار الجنة)(٣)
- ثم جاء الكلام عن كلمات الله تعالى بأنها كلمات لاتنتهي فهي بحرٌ لاساحل له ، فلو كانت كل قطرة من بحار الدنيا مداداً واستحالت الأشجار وجذوعها وأغصانها أقلاماً لتكتب بها كلمات الله ، لتكسرت الأشجار ونفدت مياه البحر قبل أن تنفد كلمات الله

(إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ كانت لهُم جنَّاتُ الفِردوسِ نُزلاً، خالدينَ فيها لايبغُونَّ عنها حِولاً، قُل لو كانَ البحرُ مِداداً لِكلماتِ ربيِّ لنفِدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلِماتُ ربيّ ولو جِئنا بمثلهِ مدداً، قُل إنمَا أنا بشرٌ مِثلُكم يوحى إِليَّ أنما إِلهُكُم إلهٌ واحدٌ فمن كانَ يرجو لقاء ربهِ فليعمل عملاً صالحاً ولايُشرك بعبادةِ ربهِ أحداً)

تم بحمد الله الانتهاء من كتابته
الثلاثاء١٤٣٢/٧/١٩ هـ
الساعة الحادية عشرة مساءً.

---

(١) تفاصيل قصة يأجوج ومأجوج ذكرت في ملزمة (وقفات تربوية مع قصة مريم)
(٢)حديث صحيح رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الفتن نقلاً عن التفسير الموضوعي.
(٣) صحيح البخاري.

المراجع والمصادر

١)موسوعة التفسير الموضوعي إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف الدكتور مصطفى مُسلم- جامعة الشارقة.

٢)المصباح المنير للمباركفوري.

٣)تيسير الكريم الرحمن لابن السعدي.

٤) موسوعة نضرة النعيم.

٥) صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

٦)دورة علمية في تفسير سورة الكهف للدكتور عبد الرحمن الدهش، والشيخ صالح المغامسي موقع البث الإسلامي.

٧) نور الإقتباس لابن رجب.

٨)هذه أخلاقنا محمود الخزندار.

٩)فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر.

١٠) مماثلة المؤمن للنخلة للدكتور عبد الرزاق البدر.

١١) فقه الأسماء الحسنى للدكتور عبد الرزاق البدر.

١٢)حطم صنمك مجدي الهلالي.

١٣)دروس علمية في شرح اسم الله الحفيظ – والولي للشيخ محمد الدبيسي.

١٤) دروس علمية متفرقة.

ملاحظة :

*يسمح تصوير الملزمة للتوزيع المجاني ويمنع بيعها منعا باتا
*يمنع التعديل والإضافة على محتوى الملزمة

يسعدنا استقبال اقتراحاتكم ومناقشاتكم على الايميل التالي:
Altawhid.mail@gmail.com